الفصل الخامس

المجلس الثاني

obeikandl.com

obeikandl.com

(116 : أ) المجلس الثانى

قال المخبر : فلما اندمل جرح الفراق بعد طول ، وزمان مطول (1) ومحا ــ رسم التذكر ــ تكرار فصول ، ونصول خضاب (2) ، وخضاب نصول (3) ، بينا أنا ذات يوم فى بعض أسواق الغبار ، أسرح طرف الاعتبار ، فى أمم تنسل من كل حدب ، وتنتدب من كل منتدى ومنتدب ، ما بين مشتمل للصماء يلويها ، ولائث للعمامة لا يسويها ، ومتلفظ بالشهادة وهو لا ينويها ، وصاعد من غور ، ومتظلم من جور ، وممسك بذنب عير أو روق (4) ثور ، يموجون ، ومن الاجداث يخرجون ، كأنهم النمل نشرها وقد برزت للشمس ، من مطر الامس ، يشيرون (116 : ب) بأجنحة الاكسية ، ويتساقطون على ثماد القلب (5) وأسئار الاحسية (6) ، وقد اصطف ذابحو الجزور ، وبائعو اللبوب (7) والبذور (8) ولصق بالامليــاء (9) حللة العقد وشهدة الزور ، ونظرت فى ذلك المجتمع الهائل المرأى والمسمع .

الى درسة غى ، وطهاة كى ، ورقاة جنون ، بضروب من القول وفنون ، وفيهم كهل قد استظل بقيطون (10) ، وسل سيف

---

1) فى نسخة (ط) « ممطول » .
2) نصول خضاب : ذهاب الحناء .
3) خضاب نصول : حناء مزالة .
4) روق ثور : قرن ثور .
5) ثماد القلب : حفر الآبار .
6) أسئار الاحسية : بقايا الماء فى المستنقعات .
7) اللبوب : الجوز واللوز .
8) البزور والابزار : التوابل .
9) الامليا : ج ملى ، كفتى وزنا ومعنى .
10) قيطون : يطلقها أهل المغرب على الخيمة ، والجمع : قياطين .

لاطون (11) ، وتحدى برقية لديغ ومداواة مبطون ، قد اشتمل بسمل غفاره وبين يديه غبار فى جلد فاره ، وطحن من اطعام كفارة (12) . وأمامه تلميذ قد شمر الاكمام ، والتفت الخلف والامام ، وصرف لوحى لحظه ــ الاهتمام . وهو يأسو ويجرح ، ويتكلم بلسان القوم ثم يشرح ، ويقيد من حضره بقيد العزيمة فلا يبرح . ويقول :

أيها البهم السارح ، والحزب المسرور بما لديه الفارح ، والسرب الذى تقتاته لولاة البغى الجوارح (13) . صرفتم غروب اعتنائكم ، لمآرب نسائكم وأبنائكم ، وذهلتم عمن حل بفنائكم ، وجعلتم تطعمون وتجمعون ، « انما يستجيب الذين يسمعون » (14) . من وقعت على منكم عينه ، فقد رأى فاتح أقفال الاسرار ، ومثبت (117 : أ) الفرار ، ومصمت أولئك الصرار ، ومغور مياه الآبار بيسير الغبار ، ومخرج الاضمار فى المضمار ، ومذهب المس وطارد العمار (15) .

أنا قاطع الدماء اذا نزفت ، وكاشف الغماء اذا ما انكشفت ، أهنا (16) الابل فلا تجرب ، وأخط حول الحمى فلا تدنو السباع ولا تقرب ، وأدخن بها فلا تتسلل الحية ولا تدب العقرب ، ان نعيت الشمس ــ لوقت محدود ــ طمس فيها نورها (17) ، وان وعدت الارض برى

---

11) يرجح استاذنا عبد الله كنون انها ربما تكون مشتقة من الكلمة الاسبانية لاطون « Laton » بمعنى النحاس ، فقد استعملها المقرى فى كتابه « نفح الطيب » بهذا المعنى .

12) ولاة البغى : يقصد بهم شرطة المكوس .

13) كان العامة يعتقدون نوعا من الشفاء فى مثل هذه الامور .

14) اقتباسا من قوله تعالى : « انما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ، ثم اليه يرجعون » سورة الانعام ، آية : 36 .

15) العمار : الجن يسكنون البيوت .

16) اهنا الابل : أطلى الابل بالقطران .

17) كناية عن تنبؤه بأحوال الطقس .

محمود فار تنورها (18) ، وان كتبت لعقد النكاح انحلت ، وان عقلت خطى الضالة وقفت حيث حلت ، وان زجرت الجنون تركت وخلت ، وان استثرت الدفائن ألقت الارض ما فيها وتخلت (19) . أنا جردت البيضة الشقراء ، وزوجت الفتى الشرقى من الجارية العذراء . أنا صافحت الملك، ورصدت الفلك ، ومزجت ــ بسر الحكمة ــ الضياء والحلك ، فاحتقرت الملــك وما ملــك .

دعوت علم الطباع فأطاع ، وقطعت شكوك الهيئة بالشكل القطاع ، وقلت بالقدر وبالاستطاع ، وسبقت فى صناعة البرهان (20) يوم الرهان . ورضت صعاب الرياضيات حتى ذل قيادها ، وسهل انقيادها ، وعدلت الكواكب (117 : ب) واختبرت القلوب اليابانية والمناكب ، وبشرت عند رجوع خنسها (21) بالغيوث السواكب ، ووقفت بالامتحان ، على صناعة الالحان ، وقرأت ما بعد علم الطبيعة ، وناظرت قسيس البيعة (22) ، وأعملت فى الاصول مرهفة النصول ، وأحكمت أمزجة الطباع وطبائع الفصول . وامتزت بالبروع فى علم الفروع ، وقمت فى العهد الحديث بالحديث، وحزت فى علم اللسان درجة الاحسان . وحققت قسمة الفروض،

---

18) فــار تنورها : فاضت مياهها .

19) اقتباسا من قوله تعالى : « واذا الارض مدت ، والقت ما فيها وتخلت » سورة الانشقاق ، آية 3 ، 4 .

20) يقصد علم المنطق والمناظرة فى البحث العلمى .

21) خنسها : الخنس ، قيل : الكواكب كلها ، وقيل : السيارات منها فقط ، وقيل : الخنس ، هى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد . وقد أقسم اللــه تعالى بها فى قوله : « فلا اقسم بالخنس ، الجوار الكنس ... انه لقول رسول كريم » آية 15 ــ 19 من سورة التكوير .

22) قسيس البيعة : يرمى بهذا الى ما كان يحدث احيانا بين بعض المسيحيــين المستعربين من جهة ، وبين الاندلسيين الذين اتقنوا لغة المسيحيين من جهة اخرى ، فهؤلاء واولئك كثيرا ما التحما فى مجادلات دينية .
راجع ابن الخطيب فى : الاحاطة ، لوحة 111 ، 222 من مخطوطة جاييجوس بالاسكوريال .

وعدلت الشعر بميزان المعروض ، ونظمت ونثرت ، وأكثرت فما عثرت . وعبرت حلم النوم ، ولبست الخرقة بشرط القوم (23) ، ولزمت خلوة الذكر ومعتكف الصوم .

وأما معرفتى بالاخبار ، وزرع الارض بالاشبار ، ما بين جليقية (24) الى الانبار (25) ، وأوصاف المدن الكبار ــ فقد ثبت بالاختبــار .

قال : فاثار قديمى ، وأذكرنى بنديمى ، فقلت : الله أكبر ، أوضح ــ الخبــر ــ المخبر . فخضت اليه ومن بينى وبينه وهم بحر زاخر ، وأول ليس له آخر ، وبهم يسخر منه الساخر ، ما بين كبش مجتــر وعجل ناخر (26) . وقلت : أيها الحبر ، ضالتى قريب أمدها ، معروف معتمدها . وعلى ذلك فالشكر (118 : أ) ممنوح ، والرفد طوفان نوح . فالان (27) العريكة ، وسلم النطع والاريكــة ، وقال : أجل واعرض ،

---

23) بشرط التوم : يعنى وفق شروط قوم الصوفية فى اللباس المرقع .

24) جليقية : ادارة اسبانية انشاها « فرناندو الاول » لابنه « غارسيا » ، ضمت الى قشتالة عام 1662 م = 1073 هـ ، وتمتع امراؤها ببعض الاستقلال الذاتــى الى اواخر القرن الخامس عشر ، موقعها شمالى الاندلس فى اقصى الغرب. وقد وصل الى هذا المكان « موسى بن نصير » لما فتح الاندلس ، وينسب الى هذه الناحية « عبد الرحمن بن مروان الجليقى » من الخارجين بالاندلس ايام بنى امية .
راجع : المعجم للحموى ج 3 ص 257 .

25) الانبار : آثار مدينة قديمة فى العراق على ضفة الفرات ، فتحها خالد بن الوليد القائد الاسلامى على عهد الخليفة ابى بكر الصديق عام 634 هـ (1236 م). وكانت مقرا للخلافة الاسلامية حتى تاسست بغداد ، فاضحت حاضرة الخلافة حيث جددها أبو العباس السفاح ، أول خليفة عباسى . وينسب لهذه المدينة القاضى أحمد بن نصر بن الحسين الانبارى .
راجع : المعجم للحموى ج 3 ص 257 .

26) عجل ناخر : أى يمد نفسه من خياشيمه .

27) فى نسخة (س) « فالن » بصيغة الامر ، ولعل سياق المحاورة يتمشى مــع نسختنا .

وأنزل السؤال وافرض . فقلت : بى الى تعرف البلدان جنوح وجنون ، والجنون فنون ، وقد ظفرت قبلك بنقاب (28) ، وعود احتقاب ، وسارب أنقاب (29) ، حصل به من طلبى الشطر (30) ، وبك يتم الشكر (31) ، ويعظم الخطر . فقال : الناس متهم (32) ومنجد (33) ، (وخائل وممجد)، ولا تجود يد الا بما تجد .

والله المرشد . وجعل ينشد :

اذا المشكلات تصدين لى كشفت غوامضها بالنظر
ولست بامعة فى الرجال أسائل هذا وذا : ما الخبر (34)
ولكننى مذرب الاصغرين أبين ــ مع ما مضى ــ ما غبر (35)

ثم قال : هات ، أمن عقدك الشبهات .

---

28) نقاب : رجل علامة .
29) سارب انقاب : السارب ، هو الذاهب على وجهه بالانقاب ، وهى الطرق فى الجبل .
30) فى نسخة (س) « الشكر » .
31) فى نسخة « الشطر » .
32) متهم : ساكن تهامة ، وهى أراضى السهل الساحلى الضيق ، الممتد من شبه جزيرة سيناء شمالا الى أطراف اليمن جنوبا ، وفيها مدن نجران وجدة وصنعاء ، وسكانها يميل بعضهم الى الزراعة بينما يميل البعض الى التجارة والملاحة وصيد اللؤلؤ .
33) منجد : ساكن نجد ، ونجد ، اقليم بالسعودية ، والعاصمة الرياض ، وهى بلاد جبلية فى شمال شبه جزيرة العرب ، نقيضها تهامة ، وهى البلاد الساحلية الغربية هناك .
34) فى نسختى (س ، ر) « وما الخبر » بالواو ، وهو خطأ فى الوزن، وهكذا أوردها موللر .
35) فى نسختى (ط ، س) « وما غبر » ، وهو خطأ فى الوزن أيضا ، وقد أوردها موللر هكذا أيضا .

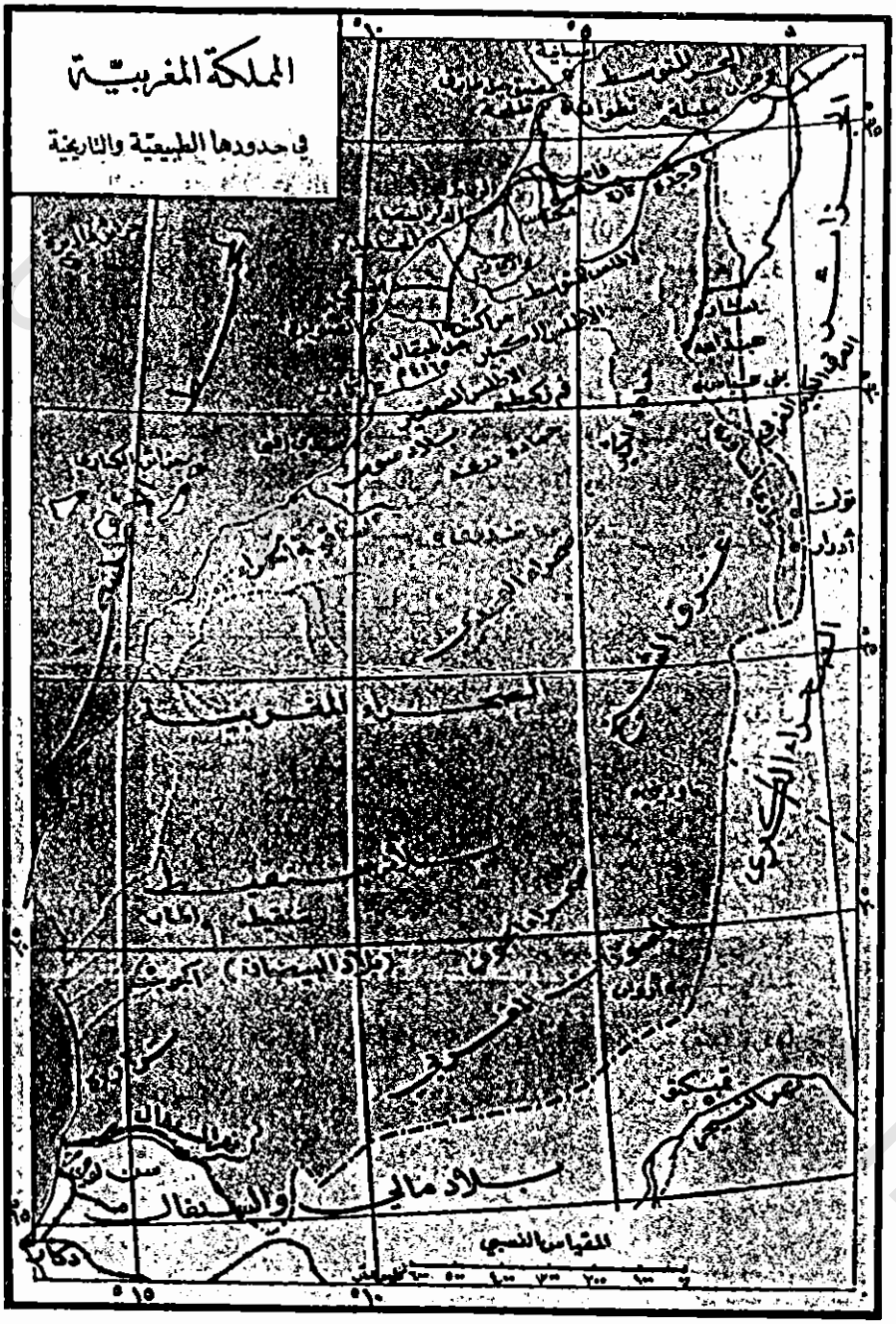
المملكة المغربية
في حدودها الطبيعية والتاريخية
الصحراء المغربية
بلاد مالي والسنغال
المقياس النسبي

1 ـ « بـــــادس » (36)

قلت : ما تقول فى بـــادس ؟

قال : بدأت بحمدلة الرقعة ، وبركة البقعة ، ومدفن الولى (37) ، والنحر غير العاطـــل ولا الخلى من الحلى . بلد السراوة والشجاعة ، والايثـــار علـــى فرض المجاعـــة ، والنفوس الاوابـــة (الـــى اللـــه) الرجاعة ، حيث البر والحوت ، والخشب الذى ينشأ منه كل منحوت ، والبأس والاقدام ، والفاكهة الطيبة والادام ، (118 : ب) ورب الجبال ، وفضل للمدافعة لصهب السبال . الا أنها موحشة الخارج ، وعـــرة المعارج ، مجاورة غمارة (38) بالمارد والمارج ، فهم ذوو دبيب ، فى مدارج تلك الغرابيب (39) ، وكيدهم ـ ببركة الشيخ ـ فى تتبيب (40) .

---

36) بادس : مدينة اندثرت فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، حيث خربها الاسبان ، ويقال لها : « باديس » « وبادس غمارة » ، كما يقال لها «بادس فاس » تمييزا لها عن « بادس الزاب » الواقعة بالجزائر ، أما الاولى فكانت تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وتبعد عن « الحسيمة » بنحو 40 كم راجع : صحيفة الميثاق المغربية عدد 7 من السنة الاولى 1962 م ، وكـــذا ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » ج 2 ص 29 .

37) يقصد بالولى هذا : ابو يعقوب يوسف بن محمد بن عبد الله الزهيلى البادسى ، نسبة الى بادس . (640 ـ 734 هـ = 1242 ـ 1333 م) عالم متصوف ذكره ابن خلدون عرضا فى حديثه عن قبائل البربر . عاصر الملك أبا الحسن المرينى ، وقد عثر مؤخرا على مخطوط الفه « ابو محمد الاوربى » فى مناقب ابى يعقوب البادسى .
راجع : صحيفة الميثاق المغربية عدد 7 ، 8 من السنة الاولى 1962 م .

38) غمارة : قبيلة بربرية ، وتسمى الجبال التى تسكنها بهذا الاسم ايضا .

39) مدارج غرابيب : طرق حالكة السواد .

40) تتبيب : هـــلاك .

2 ــ « سبتـــــة » (41)

قلت : فمدينـــة سبتـــة ؟

قال : عروس المجلى ، وثنية الصباح الاجلى . تبرجت تبرج العقيلة ، ونظرت وجهها من البحر فى المرآة الصقيلة ، واختص ميزان حسناتها بالاعمال الثقيلة . واذا قامت بيض أسوارها مقام سوارها ، وكان جبل بنيونش (42) شمامة أزهارها ، والمنارة منازه شوارها (43) ، كيف لا ترغب النفوس فى جوارهـــا ، وتخيم الخواطر بين أنجادهـــا وأغوارها ! ! الى المينا الفلكية ، والمراسى (44) الفلكية ، والركيـــة الزكية (45) ، غير المنزورة ولا البكية (46) ذات الوقود الجزل ، المعد للازل ، والقصور المقصورة على الجد والهزل ، والوجوه الزهر السحن ،

---

41) سبتة : هى Ceuta احدى المدن الساحلية على شواطىء البحر الابيـــض المتوسط شمال المغرب ، ولكنها تتبع حاليا اسبانيا ، لها تاريخها على مـــر العصور الوسطى الاسلامية ، من حيث كونها قاعدة سياسية هامة ، وقـــد اتخذها الامويون فى العصر الاسلامى قاعدة يصدون منها تيار الفاطميـــين . وفى القرن الثالث عشر استولت عليها اسرة اندلسية اسمها « بنى العزفى »، وبقيت تحت حكم بنى الاحمر فترة من الوقت ، ثم استولى عليها البرتغال فى القرن الخامس عشر ، واخيرا استولى عليها الاسبان ، وما تزال تحت حكمهم حتى اليوم . ومنها « مرانة السبتى » من اعلم الناس بالحساب والهندســـة والفرائض والتاليف ، ومن تلاميذته ابن مرانة الفرضى « الحاســـب » ، يقولون : انه كان من اهل بلده ، وكان المعتمد بن عباد يقول : « اشتهيت ان يكون عندى من أهل سبتة ثلاثة نفر : « ابن غازى » الخطيب ، « وابن عطاء» الكاتب ، « وابن مرانة » الفرضى .
انظر : معجم البلدان للحموى ج 10 ص 182 ــ 183 .

42) بنيونش : قرية تجاور سبتة من الغرب ، لا زالت آثارها باقية حتى اليوم .

43) شوارها : حسنها .

44) فى نسخة « س » والمراقى ، بدل « والمراسى » .

45) الركية الزكية : البئر الطاهرة .

46) البئر غير البكية : هى التى لا تفيض فيض الدموع حين البكاء ، والتعبير عموما كناية عن ان منسوب المياه فيها معتدل .

سبتة

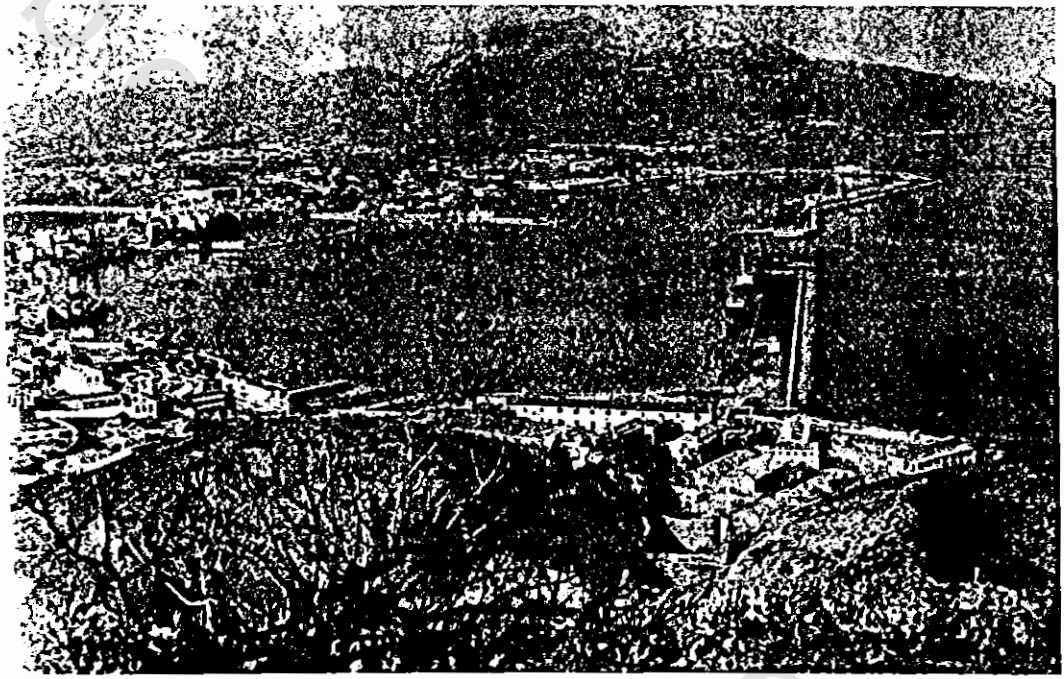

ساحل المدينة وجبل بنيونش

المضنون بها عن المحـــن . دار الناشبة ، والحامية المضرمة للحـــرب المناشبة ، والاسطول المرهوب ، المحذور الالهوب ، والسلاح المكتوب المحسوب ، والاثر المعروف المنسوب . كرسى الامراء والاشراف ، والوسيطة لخامس أقاليـــم البسيطة ، فـــلا (119 : أ) حظ لهـــا فى الانحـــــــراف .

بصرة علوم اللسان ، وصنعاء الحلل الحسان ، وثمرة امتثال قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » (47) ، الامينة على الاختزان ، القويمة المكيال والميزان ، محشر أنواع الحيتان ، ومحط قوافـــل العصير والحرير والكتان ، وكفاهـــا السكنـــى ببنيونش (48) فى فصـــول الزمان ، ووجود المساكن النبيهة بأرخص الاثمان . والمدفن المرحوم غير المزحوم ، وخزانة كتب العلوم ، والآثار المنبئة عن أصالة الحلوم (49) الا أنها فاغرة أفواه الجيوب (50) للغيث المصبوب ، عرضة للريـــاح ذات الهبوب ، عديمة الحرث فقيرة من الحبوب ، ثغر تنبو (52) فيه المضاجع بالجنوب . وناهيك (59) بحسنة تعد من الذنـــوب ، فأحـــوال أهلها رقيقة (52) ، وتكلفهـــم ظاهر مهما عرضت وليمة أو عقيقـــة ، واقتصادهم لا تلتبس منه طريقة ، وأنساب نفقاتهم — فى تقدير الارزاق — عريقة ، فهم يمصون البلالة مص المحاجم ، ويجعلون الخبز فى الولائم بعدد الجماجم ، وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم ، بالبشير الهاجم (53) ،

---

47) اقتباسا من قوله : « ان الله يامر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » سورة النحل ، آية : 9.

48) هى « Beliones » قرية تجاور سبتة من الغرب ، كانت تشتهر بحماماتهـــا وبساتينها وانهارها ، ويسمى الجبل هناك باسمها .

49) الحلوم : العقول ، والمفرد ، حلم .

50) فى نسخة (ط) « الجنوب » وهى انسب للسياق .

51) ناهيك : حسبك ، بمعنى يكفيك .

52) فى نسخة (س) « دقيقة » وكلتاهما مناسبة للمعنى العام .

53) كناية عن حبهم الشديد لبلدهم ، فهم مفتونون بها ، كفتنة الحزين ببشير مندفع نحوه ، او كفتنة راعى أرض مجدبة تدفق عليها المطر .

وراعى الجديب بالمطر الساجم (54) ، فلا يفضلون على مدينتهم مدينة ؛ (119 : ب) الشك ــ عنــدى ــ فى مكة والمدينة .

3 ــ « طنجـــــة » (55)

قلــت : فطنجـــــة ؟

قال : المدينة العادية ، والبقعة التى ليست بالخبيثة ولا بالردية ، اليها بالاندلس كانت نسبة المغاربة ، والكتائب المحاربة ، والرفق (56) السائحة فى الارض الضاربة . سورها ليس بمثلوم ، وساكنها غير ملوم ، وفضلها معلوم ، ودارها ليست بدار لوم . ميدان أفراس كبير ، ومعدن هند (57) وذكير (58) . مثلث بين المنار والقالة «59» ، وحكماهــا فى التفضيل ، فأشكل الحكم وتعذرت المقالة ، ولم يصح البيع ولا وجبت الاقالة . هذى سماء بروج ، وهذى أزهار مروج ، وكلاهما مركب سرور

---

54) المطر الساجم : الكثير المنصب .

55) طنجة :« Tanger »احدى مدن المغرب القديمة ، موقعها على المحيط الاطلسى بينها وبين أوروبا مسافة مضيق جبل طارق . عرفها الفينيقيون مركزا تجاريا هاما ، ثم القرطاجنيون كذلك فى تبادل السلع الهامة ، وتموين السفن التى فى طريقها الى المحيط . ولما ظهرت الدولة الرومانية واكتسحت الدولـــــة القرطاجنية فرضت سيادتها ــ ضمن ما فرضت ــ على طنجة ، والتى عرفت ازدهارا تجاريا ضخما بين المغرب ــ عن طريقها ــ وبين روما مركز الدولة الرومانية . وتوالى الزمن على المدينة ، حتى جاء عقبة بن نافع وموسى بن نصير الفاتحان الاسلاميان للمغرب عام 62 هـ (681 م) ، ومن يومها وطنجة العربية الاسلامية محافظة على طابعها ، حتى غدت قطعة من المغرب عام 1956 م (1376 هـ) .

56) الرفــق : المعونــة .

57) هند : السيف . ويقال أيضا للمائة من الابل فما فوقها .

58) ذكير : الذكير هو أجود الحديد .

59) القالة : يعنى بها الميناء ، وهى بالاسبانية : La Cala

طنجة

المدينة العربية

وسروج ، ومتمتع فروج ، ومطعم قديد ومروج . ديارها نبيهة ، وأحوالها ــ بأحوال جارتها (الاندلس) شبيهة .

لكن رملها يحشو العين بالذرور عند المرور ، (**ويدخل الدور ، ويفسد القدور**) ورياحها لا تسكن الا فى الندور ، وظلمة جوها متسببة عما وراءها من مغرب الشموس والبدور . وعين برقانها ــ أعذب عيونها ــ مشهور بتوليد الهوج ، قران عند الناس غير ذى عوج ، ويذكر أن سليمان اختصها بسجن مردة الجن ، فيعثر بها على (120 : أ) أوان ملئت ريحا ، تثير تبريحا (60) ، ويسندون ــ لذلك ــ افكا صريحا .

4 ــ « قصر كتامة » (61)

قلت : فقصر كتامة ؟

قال : مغرد عندليب (62) ، وعنصر بر وحليب ، ومرعى سائمة ، ومسرح بهيمة فى الجميم هائمة ، ومسقط مزنة عادية وديمة دائمة . وبه التفاح النفاح ، ترتاح الى شميمه الارواح ، والفوائد قد ثقلت بها الاذواح ، يقذف به السماء والصباح ، ويتفنن فيه الحرام والمباح ، والسمك كما جردت الصفاح اذا استبحر الكفاح . وطريقه مسلك ــ القافلة ، وببابه السوق الحافلة . ينسل اليها من غمارة قرود وفهود (63)

---

60) تبريحا : شدة وهلاكا .

61) قصر كتامة : اراد به « القصر الكبير » أحد مدن الشمال بالمغرب ، على بعد 25 كم من مدينة العرائش ، كما يبعد عن ساحل المحيط الاطلنطى بنحو 35 كم .
راجع : ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » ج 15 ص 360 .

62) الجميم : يقال ارض جميم اى ملساء .

63) الوان مختلفة من افراد قبيلة غمارة

وأمة صالح وهود ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (64). الا أنه قور (65) قد تهدم ، ودار الندوة لام ملدم (66) ، ومنتزى لهائج المرار وثائر الدم . جثم الهواء الخبيث فى بطيحته وربض ، وانبسط وما انقبض ، وجهز ليله عسكر البعوض الهاجم ، دربة بمص المحاجم . وأما وحله فلا يعبر ولا يسبر ، وان اسهبت العبارة فالامر أكبر .

5 ـ « أصيـــــلا » (67)

قلـت : فـأصيـــلا ؟

قال : كثيرة المرافق ، رافعة فى الخصب اللواء الخافق ، (120 : ب) العصير الاثير ، والحوت الكثير ، والادام الذى يرمى به مـن حكم عليه بالتعزيز (68) ، والسفن المترددة فيها الملف (69) والابازير . الا أن حصنها من المنعة برى ، وساكنها بربرى ، وجارها ـ من غمارة ـ جـــرى .

---

64) اقتباسا من قوله تعالى : « ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الاخرة ، ذلك يـوم مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود » سورة هود ، آية : 103 .

65) قـور : بئر .

66) أم ملدم : كنية الحمـى .

67) اصيلا : هى « Arcila » مدينة صغيرة على ساحل المحيط الاطلنطى ، ينسب اليها الاديب المحدث ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد الاصيلـى ، تراس الكتابة بقرطبة على عهد المستنصر .
راجع : ياقوت الحموى « معجم البلدان » ج 15 ص 212 .

68) كناية عن وفرة الزاد بالبلد .

69) الملف : لفظ شامل للغطاء والكساء .

ســـــــلا

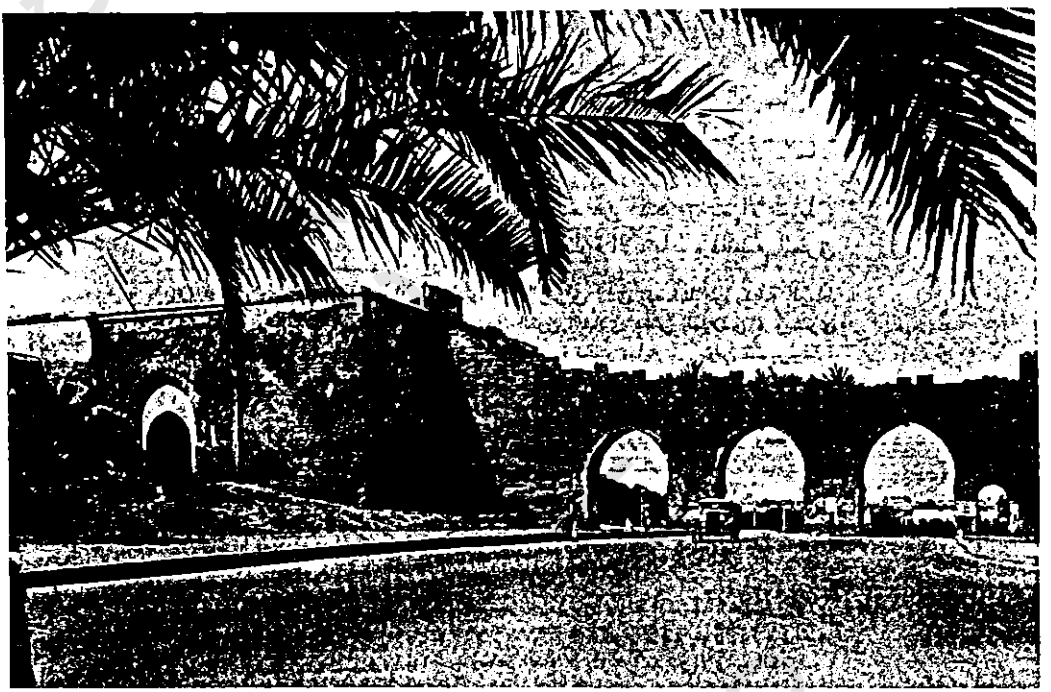

الاسوار القديمة الاثرية
(مدخـــل المدينـــة الشمالي)

6 ــ « ســـــلا » (70)

قلـت : فمدينـة ســـلا ؟

قال العقيلة المفضلة ، والبطيحة المخضلة ، والقاعدة المؤصلة ، والسدرة المفصلة . ذات الوسامة والنضارة ، والجامعة بين البداوة والحضارة . معدن القطن والكتان ، والمدرسة والمارستان ، والزاوية كأنها البستان ، والوادى المتعدد الاجفان ، والقطر الآمن عند الرجفان ، والعصير العظيم الشأن ، والاسوق الممتازة حتى برقيق الحبشان . اكتنفها المسرح ، والخصب الذى لا يبرح ، والبحر الذى يأسو ويجرح ، وشقها الوادى يتمم محاسنها ويشرح .

وقابلها **الرباط** (71) ، الذى ظهر به ــ من المنصور ــ الاغتباط ، حيث القصبة والساباط (72) ، ووقع منه بنظرة الاعتباط ، فاتسع الخرق

70) هى Salé مدينة موازية لوادى ابى الرقراق الذى يفصلها عن مدينة الرباط العاصمة ، يعتقد بأنها تأسست فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ويرى بعض المؤرخين انها مدينة رومانية قديمة ، نالت عناية بنى مرين فسوروها ، وانشأوا بها كثيرا من المرافق العامة ، وتعتبر عمارتها نموذجا للفن المغربى الرائع فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، ولسلا شهرة صناعية تجارية فى الجلد والاوانى النحاسية والحديدية ونسج الزرابى والطرز وصناعة الحصر ، وهى المدينة التى بقى فيها ابن الخطيب منفيا لمدة ثلاث سنوات تقريبا (760 ــ 763 هـ / 1358 ــ 1361 م) حيث الف بها كتابه هذا ضمن ضمن كتب اخرى ، حينما جاء الى المغرب مع سلطان غرناطة المخلوع « الغنى بالله محمد الخامس ابن الاحمر » .

راجع : المعجم للحموى ج 10 ص 231 .

71) الرباط : « Rabat » هى عاصمة المغرب الادارية، وقد اسسها الخليفة المنصور ابو يوسف بن عبد المؤمن ، (554 هـ 595 هـ) = (1159 ــ 1198 م) اشهر ملوك الموحدين ، وسماها « رباط الفتح » ، وهى مدينة الابواب العظيمة ، اقامها الموحدون ، فقد كانت رباطهم العسكرى ، كما ان بها صومعة حسان الشامخة البتراء ، تشرف على المدينة وعلى بقايا اطلال المسجد ، وهذه الصومعة من طراز الكتبية بمراكش والخيرالدا بأشبيلية .

راجع : « السلاوى » فى الاستقصا ج 1 ص 16 ــ 181 .

72) الساباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق .

الـربـــــاط

المدينة كما تبدو من وادى ابى الرقراق
وحيث تطــل عليه قصبــة الاوداية

مسجد حسان

« الصومعة وبعض الاعمدة »
ـ الرباط ـ

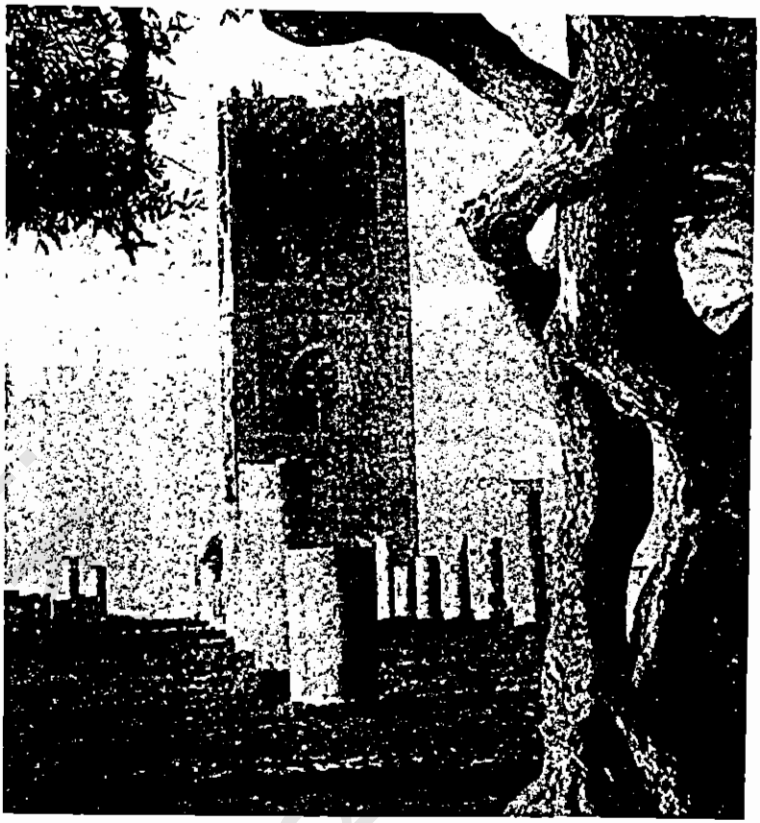

قصبة الاوداية

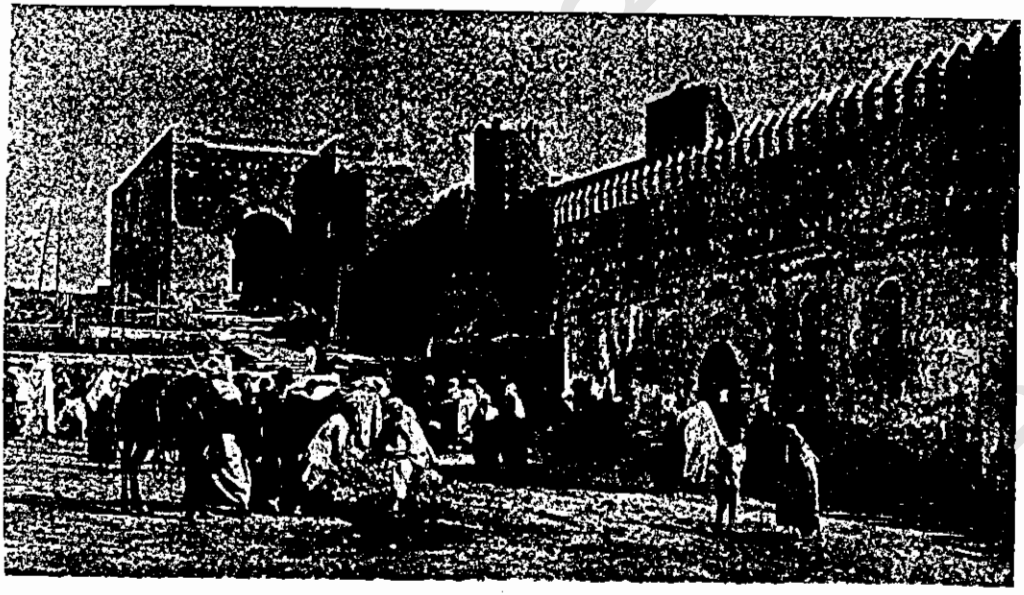

وعظم الاشتطاط ، وبعد الكمال يكون الانحطاط (73) . الى **شامة (74)** مرعى الذمم ، ونتيجة (121 : أ) الهم ، (**ومشمخ الانوف ذوات الشمم**) (75) وعنوان بر الديم ، حيث الحسنات المكتتبة ، والاوقاف المرتبة ، والقباب كالازهار ، مجودة بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، وطلل حسان المثل فى الاشتهار .

وهى ــ على الجملة من غيرها ــ أوفق ، ومغارمها ــ لاحترام الملوك الكرام ــ أرفق ، ومقبرتها المنضدة عجب فى الانتظام ، معدودة فى المدافن العظام ، وتتأتى بها ــ للعبادة ــ الخلوة ، وتوجد عندها ــ للهموم ــ السلوة ، كما قال ابن الخطيب :

وصلت حثيث السير فيمن فلا الفلا ... فلا خاطرى لما نأى وانجلى انجلى
ولا نسخت ــ كربى بقلبى ــ سلوة ... فلما سرى فيه نسيم سلا سلا

وكفى بالشابل رزقا طريا ، وسمكا بالتفضيل حريا ، يبرز عدد قطر الديم ، ويباع ببخس القيم ، ويعم حتى المجاشر (76) النائية والخيم الا أن ماءها لا يروى به بارد (77) ، لا كريم ولا بارد ، وأليفها شارد ، والخزين بها فاسد ، وبعوضها مستأسد ، راضع غير مفطوم ، واسم للخد والخرطوم ، بذيالك الخرطوم ، خالع للعذار غير مخطوم ، تصغى

73) يرمى بهذا الى ما روى عن المنصور مؤسس الرباط عند ما توفى ، من أنه قال: ندمت على ثلاثة اشياء : بناء مدينة الرباط ، واسكان عرب بنى هلال فى المغرب ، واطلاق اسرى النصارى ، وهم الذين كان قد أسرهم فى موقعة « الارك » الشهيرة (ربيع الاول 592 هـ = 1195 م) ، وقد تحققت نبوءة المنصور فى العاقبة السيئة لهذه الامور الثلاثة ، فقد اتخذ الفرنسيون مدينة الرباط قاعدة بعد احتلالهم المغرب فيما بعد ، واثار عرب بنى هلال القلاقل والفتن فى المغرب ، واخذ النصارى بثارهم فى موقعة « العقاب » حيث هزموا المسلمين فيها شر هزيمة (15 صفر 609 هـ = 18 يوليو 1212 م).

74) فى نسختى (ط ، س) « شالة » وهو الاوفق .

75) زيادة فى (س ، ط) .

76) المجاشر : يعنى القرى والضياع ، ويقال لها فى المغرب الآن « المداشر » .

77) فى نسخة (س) « وارد » وهو أصوب .

ـ لرنته ـ الآذان ، ويفتك بوكز السنان ، كالقوس تصمى (121 : ب) الرمايا وهى مرنان (78) ، وديارها ـ فى الماء ـ دار عثمان (79) ، وطواحنها غالية الاثمان ، وكثبانها العفر تلوث بيض الثياب ، طـى العيا ب، وعابر واديها ـ الى مأرب أكيد ـ فى تنكيد . الى غلبة الامساك، وخوض النساك (80) ، وكثرة أرباب الخطط ، (81) والاغياء فى الشطط ، تذود ـ عن جناته للاسد ـ جنان ، (82) فلا يلتذ ـ بقطف العنقود منهـا ـ بنان ، وفى أهلها خفة ، وميزانها لا تعتدل منه كفة .

7 ـ « أنفـا »(83)

قلت : فأنفـــــا ؟

قال : جون (84) الحط والاقلاع ، ومجلب السلاع ، تهدى اليهـا السفن شارعة ، وتبتدرها مسارعة . تصارف برها الذهبى بالذهـب الابريز ، وتراوح برها وتغاديه بالتبريز .

---

78) قوس مرنان : صلبة مرنة .

79) يرمى بذلك الى أنه لا ماء فيها ، اذ دار سيدنا عثمان بن عفان الخليفة لم يكن بها ماء اثناء حصـــاره .

80) يغلب على اهل البلد البخل ، وعلى نساكها خوضهم فى أعراض الناس .

81) الخطط : أربـاب الوظائـف .

82) جنان : حراس كالجن فى الذب عن البساتين .

83) أنفا : الدار البيضاء Casablanca العاصمة التجارية للمغرب الاقصى علـى ساحل المحيط الاطلنطى ، تشتهر بالانتاج الزراعى والصناعى . وقد وقـع عليها اعتداء من الاساطيل البرتغالية عام 1465 م حيث دمرتها تماما ، بسبب منافستها التجارية لثغر قادس ، ولكن أعيد بناؤها عام 1515 م ، وقد قست عليها الطبيعة من البحر فاجتاحت معظمها الامواج عام 1755 م ، ولم تعـد مدينة تتطور وتزدهر الا فى عام 1907 م ، وهى اليوم كبرى مدن المغـرب مساحة ، واعظمها تعدادا للسكان ، ذات مرسى ضخم تبلغ ارصفته مساحة 6 كيلومترات . والسكان حاليا يتجاوزون المليون والنصف نسمة تقريبا .

84) الجون : أحد أنواع القطا ، أسود البطن والجناح ، والجونة : الشمس عنـد مغيبها والسياق يحتمل أحد المعنيين .

الـدار الـبـيـضـاء

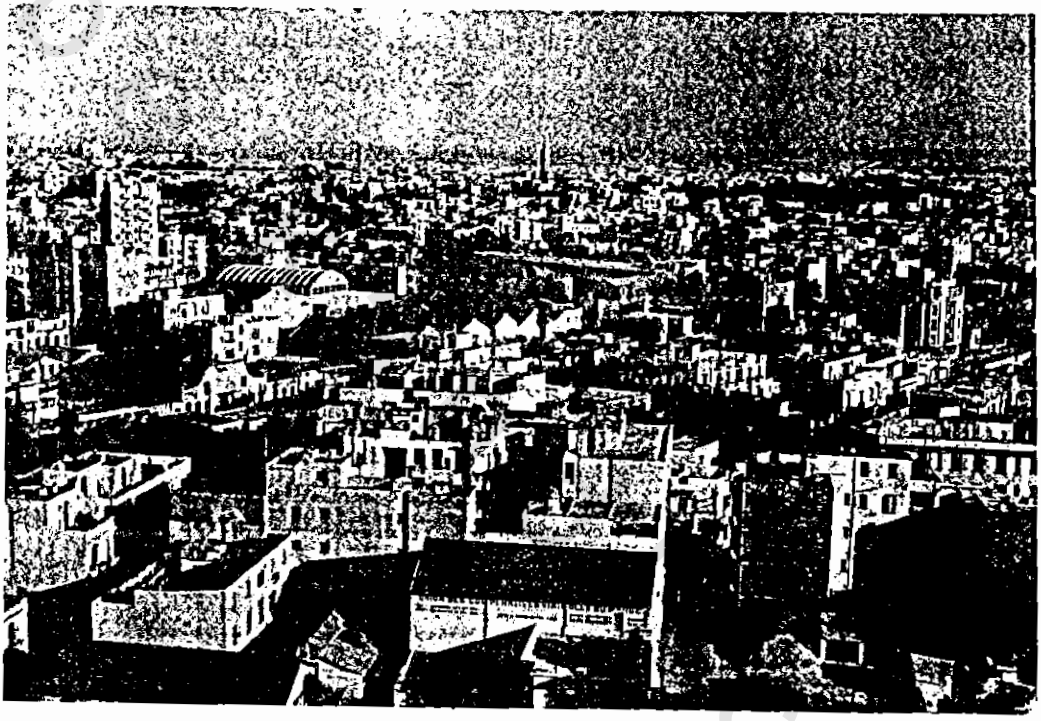

« منظـر حديـث للمدينـة »

يكثـر الطيـر حيث ينتشر الحـ ـب وتغشـى منـازل الكرمـاء

وخارجها يفضل كل خارج ، وقانصها يجمع بين طائر ودارج ، وفواكهها طيبة ، وأمطار عصيرها صيبة ، وكيلها وافر ، وسعرها ـ عن وجه الرخاء ـ سافر ، وميرتها لا ينقطع لها خف ولا حافر . لكن ماءها وهواءها عديما الصحة ، والعرب عليها فى الفتن ملحة ، والامراض بهـا تعيث وتعبث ، والخزين بها لا يلبث .

8 ـ « أزمـــــور » (85)

قلـت : فـأزمـــــور ؟

قال : جار واد وريف (86) ، وعروس ربيع وخريف ، وذو وضع شريف . أطلت على واديه المنازه (122 : أ) والمراقب ، كأنها النجوم الثواقب ، وجلت من خصبه المناقب (87) ، وضمن المرافق نهره المجاور وبحره المصاقب (88) . بلد يخزن الاقوات ، ويملأ اللهوات . باطنه الخير ، وادامه اللحم والطير . وساكنه رفيه ، ولباسه يتحد فيه ، ومسكنه نبيه ، وحوته الشابل ليس له شبيه . لكن أهله ـ أنما حرثهم وحصادهم ـ اقتصادهم ، فلا يعرفون ارضاخا (89) ، ولا وردا نضاخا ،

---

85) ازمور : هـى « Azammur » مدينة ساحلية على المحيط الاطلنطى بالمغـرب. موقعها على الجانب الايسر لمصب وادى ام الربيع ، وعلى مسافة 80 كم من الدار البيضاء جنوبا ، وهى مدينة صغيرة مشيدة بجانب راس صخـرى عال ، كانت عاصمة اقليم دكالة القديمة .
راجع : J. Leon Africano, Op. Cit. P. 83
والتعريف بابن خلدون ص 44 حاشية 4 .

86) وريف : ممتد واسع .

87) المناقب : الطريق فى الجبل .

88) المصاقب : المجاور .

89) ارضاخا : تساهـلا .

يترامون على حبة الخردل (90) بالجندل (91) ، ويتضاربون على الاثمان الزيـوف (92) بالسيوف . بربرى لسانهم ، كثير حسانهم ، قليـل احسانهم ، يكثر بينهم ـ بالعرض ـ (93) الافتخار ، ويعدم ـ ببلدهم ـ الماء والملح والفخـــار .

9 ـ « تيـــط » (94)

قلـت : فتيـــط ؟

قال : معدن تقصير ، وبلـد بين بحرى ماء وعصير ، ورباط للاولياء بـه (سـرور)(95) ، واغتباط ، ومسجدها تضيق عنه المدائن منارا عاليا ، وبقلادة الاحكام حاليا . الا أن خارجها لا يروق عين المقيم والمسافر ، ولا يشوق بحسن سافر ، ومؤمنه يشقى بصداع كافر ،

---

90) الخردل : نبات برى ينبت فى الحقول مع الزرع ، أو على حافة الطرق ، حبـه أسود وصغير جدا ، يستعمل فى التوابل ، وله فوائد طبية ، كما يستخرج منه الزيـت .

91) الجندل : الصخر العظيم .

92) الاثمان الزيوف : النقود الزائفة .

93) العرض : ضد الجوهر .

94) تيط : هى « Tit » تقع جنوبى مدينة الجديدة ، وهى ضمن اقليم دكالة ، علـى ساحل المحيط الاطلنطى .

95) زيادة فى (س ، ط) .

وحماه عدو كل خف وحافر ، فلولا ساكنه لم ينبس يوم فخر ، ولم ينم الا الى صخـــر (96) .

10 ـ « آسفـــــى » (97)

قلت : فربـــاط آسفـــى ؟

قال : لطف خفى ، وجناب حفى ، ووعد وفى ، ودين ظاهره مالكى ، وباطنه حنفى . الدماثة والجمال ، والصبر (122 : ب) والاحتمال ، والزهد والمال ، والسذاجة والجمال (98) . قليلة الاحزان ، صابرة علـــى الاختزان ، وافية المكيال والميزان ، رافعة اللواء ، بصحة الهواء . بلد

---

96) كناية عن أنها بلدة شبه منقطعة عن سواها ، لوعورة الطرق اليها ، كما أسلف فى وصفها ، وهو يورى بصخر المبكى عليه من أخته الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية ، عاش صخر هذا فيما بين القرنين السادس والسابـــع الميلادى ، وخرج فى احدى الغزوات ، فقاتل حتى أصابه جرح فمات ، فحزنت عليه اخته اكثر من حزنها على أخيه معاوية ، الذى توفى قبله ، لما للاول من أياد كريمة عليها . ولها ديوان خاص فى رثاء صخر ، فمن قولها فيه ترثيه :

وان صخـــرا لتاتـــم الهـــداة بـــه ... كأنـــه علـــم علـــى رأسه نـــار
جلـــد جميـــل المحيـــا كامـــل ورع ... وللحروب غـــداة الروع مسعار
حمـــال الويـــة ، هبـــاط أوديـــــة ... شهاد أنديـــة ، للجيش جـــرار

راجع : الموجز فى الادب العربى وتاريخه ، نشر دار المعارف ج 1 ص 204 ،

97) رباط آسفى : هى « Safi » مدينة على ساحل المحيط الاطلنطى بالمغـــرب ، وهى أصلا مؤسسة برتغالية ، كادت تندثر عندما غادرها مؤسسوها ، ولم يبق من آثارهم فيها غير حصن عظيم ، وثكنة ، وقصر يسمى « دار البحر » ، وترتكز ثروة آسفى على صيد الاسماك، فهى من أهم مراسى الصيد للسردين فى العالم ، ومن مرسى آسفى يصدر الفوسفات المستخرج من مناجـــم « كشكاط » ، وتبعد المدينة عن الدار البيضاء بمسافة 252 كم .

98) فى نسخة أخرى « والجلال » وهو أنسب .

موصوف ، برفيع ثياب الصوف ، وبه تربة الشيخ أبى محمد صالح (99) . وهو خاتمة المراحل ، لمسورات ذلك الساحل . لكن ماءه قليل ، وعزيزه ــ لعادية من يواليه من الاعراب ــ ذليــل (100) .

11 ــ « مــراكــش » (101)

قلت : فمدينــة مــراكــش ؟

قال : فتنفس الصعداء ، وأسمع البعداء ، وقال : درج الحلى ، وبرج النيــر الجلى ، وتربة الولى ، وحضرة الملك الاولى ، وصرح الناصر الولــى . ذات المقاصير (102) والقصور ، وغابــة الاسد الهصــور ،

---

99) هو احد رواد الطرق الصوفية ، عاش فى أوائل القرن السابع الهجرى ، كــان يرأس ــ بهذه البلاد ــ جمعية لتيسير الحج ، لحراسة القوافل الذاهبة الى الاراضى المقدســة .

100) كناية عن كثرة السطو على الموسرين بالمدينة من قبل الاعراب المجاورين لهــا .

101) هــى بالاسبانية « Marraquex » تبعد عن الرباط بمسافة 326 كم ، عاصمة الجنوب بالمغرب ، اسسها يوسف بن تاشفين اعظم ملوك المرابطين عــام 454 هـ = 1062 م ، كما بنى بها مسجده المعروف باسم « جامع يوسف » . استمرت عاصمة للموحدين كما كانت عاصمة للمرابطين ، ولكن بنى مريــن تحولوا عنها الى فاس ، ففقدت مراكش من يومها مركزها السياسى ، وقد شيد بها الموحدون جامع الكتبية بمنارته الشهيرة ، كما ان بها من آثــار السعديين مقابرهم العظيمة . وتشتهر المدينة بصناعة الجلد والصباغــة والنحاس ، والمنسوجات الوطنية ، والزرابى . وخارجها مزارع الــزيتون ، وواحات النخيل الشاسعة ، تحوطها جبال الاطلس التى تكسوها الثلــوج شتاء . وللعلويين بها جنان اكدال التى انشاها عبد الرحمن بن هشام العلوى ، وبها ضريح القاضى عياض ، وابو العباس السبتى ، وابو القاسم السهيلى ، ومحمد بن سليمان الجزولى .
راجع : البغدادى فى « مراصد الاطلاع ، على اسماء الامكنة والبقاع » ج 3 ص 1251 . وكذا : I. Leon. Op. Cit. P. 67-68

102) المقاصير : ج مقصورة ، وهى الدار الواسعة المحصنة .

مـــراكـــــش

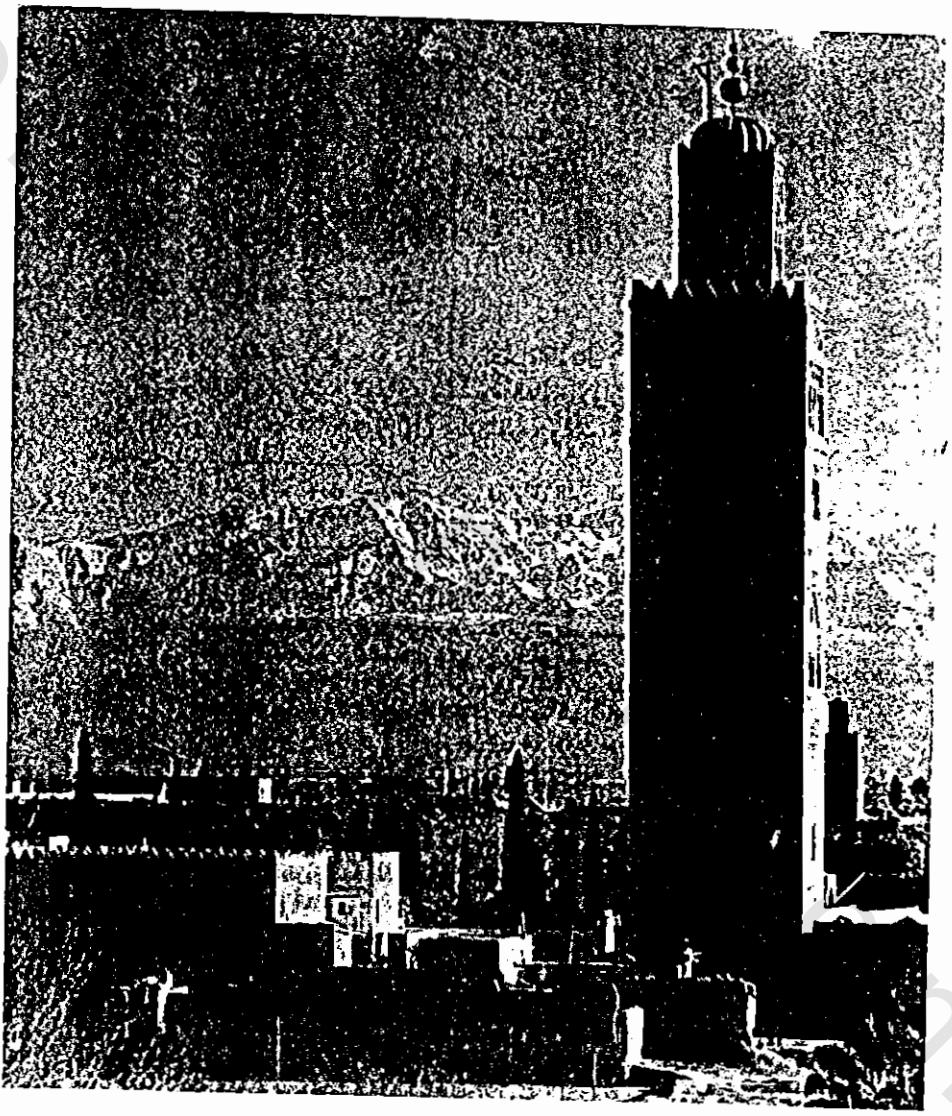

صومعة مسجد الكتبـــية ـــ واحدة من ثلاث ذات هندسة واحدة :
الخيرالدا باشبـــيلية ، والكتبـــية بمراكش ، وحسان بالربـــاط ·

وسدة(103) الناصر والمنصور . بعدت عن المركز دارتها ، وجرت ــ على قطب السياسة ــ ادارتها ، وسحرت ــ العيون ــ شارتها ، وتعبد الاباءة اشارتها ، وخاضت ــ البحر الخضم ــ نذارتها وبشارتها . اقتعدت البسيط المديد ، واستظهرت بتشييد الاسوار وأبراج الحديد . وبكى الجبل من خشيتها بعيون العيون ، فسالت المذانب كصفاح القيون ، وقيدت طرف الناظر المفتون ، أدواح الشجر بها وغابات الزيتون .

(123 : أ) فما شئت من انفساح السكك ، وسبوع الشكك(104)، وانحلال التكك ، وامتداد الباع فى ميدان الانطباع ، وتجديد فنون المجون بالمد والاشباع . زيتها الزمن يعصر ، وخيرها يمد ولا يقصر ، وفواكهها (لا تحصى) ولا تحصر . فاذا تناصف الحر والبرد ، وتبسم الزهر وخجل الورد ، وكسا ــ غدرانها الحائرة ــ الحلق السرد (105) ، قلت : أنجز ــ للمتقين من الجنة ــ الوعد ، وساعد السعد ، وما قلت الا بالذى علمت سعد (106) . ومنارها العلم فى الفلاة، ومنزلته ــ فى المآذن ــ منزلة والى الولاة . الا أن هواءها محكم فى الجباه والجنوب (**يحمى عليها بكير الجنوب**) (107) وحمياها كلفة بالجسوم ، طالبة ديونها بالرسوم ، وعقاربها كثيرة الدبيب ، منغصة مضاجعة الحبيب ، وخرابها موحش هائل ، وبعد الاقطار ــ عن كثير من الاوطار ــ بها ــ حائل ، وعدوها ينتهب ــ فى الفتن ــ أقواتها ، وجرذان

---

103) سدة : السدة : المنصب الرفيع .
104) الشكك : ج شكة ، وهى اللباس يقى لابسه ضربة السلاح .
105) السرد : المنتظم المتتابع .
106) مثل عربى يضرب فى اسناد الاخبار الى مصادرها ، وهو الشطر الاخير من قول الشاعر :

ويعذلنى أبناء سعد فيهم ... وما قلت الا بالذى علمت سعد

107) زيادة فى (س) .

المقابر تأكل أمواتها . وكانت أولى المنازل بالاغياء ، لو أنها ـ اليوم ـ معدودة فى الاحيـــاء (108) .

12 ـ « أغمـــــات » (109)

قلت : فأغمـــــات ؟

قال : بلدة ـ لحسنها ـ الاشتهار ، وجنة تجرى من تحتها الانهار ، وشمامة تتضوع منها الازهار ، متعددة البساتين ، (123 : ب) طاميـة بحار الزياتين ، كثيرة الفواكه والعنب والتين . خارجها فسيح ، والمذانب فيه تسيح ، وهواؤها صحيح ، وقبولها للغريب شحيح ، وماؤها نمير ، وماء وردها ممد للبلاد ومعير . الا أن أهلها يوصفون بنـوك (110) . وذهول ، بين شبان وكهول ، وخرابها يهول ، وعدوها تضيق ـ لكثرته ـ

---

108) يرمى بهذا الى أن مراكش قد فقدت مركزها السياسى فى العصر الذى يعيشه ابن الخطيب ، وهو عصر المرينيين ، الذين اتخذوا فاس عاصمة لهـــم ، فتحولوا بذلك عن مراكش ، التى ظلت العاصمة فى عهد كل من المرابطـين والموحدين . هذا ، والاغياء هو : بلوغ الغاية من الشأن .

109) اغمـــات« Agmat »موقعها قرب مدينة مراكش ، وفى هذه الفترة التى يؤرخ لها ابن الخطيب كانت اغمات عبارة عن مدينتين مواجهتين لبعضهما وهما : اغمات عيلان ، واغمات وريكة ، وكان بينهما خصام مستحكم ، فرق بينهما حتى فى دور العبادة ، وقد انتهى هذا الخلاف فيما بعد ، واندثرت أغمـــات وريكة وبقيت الاخرى ، وذلك فى القرن السادس عشر الميلادى ، وتشتهـر المدينة بوفرة مياهها وكثرة بساتينها ، وبها قبر المعتمد بن عباد ملك اشبيلية زمن الطوائف ، الذى قبض عليه ملك المغرب يوسف بن تاشفين بعد تغلبه عليه عام 480 هـ (1087 م) .

راجع : Discripcion de Africa P. 73. J. Leon Affricano,

وكذا : مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، لصفى الدين البغدادى ج 1 ص 98 .

110) نوك : حمـــق .

السهول ، وأموالها ــ لعدم المنعة ــ فى غير ضمان ، ونفوسها لا تعرف طعــم أمـــان .

13 ــ « مكـنـاسـة » (111)

قلت : فمدينـة مكناسـة ؟

قال : مدينة أصيلة ، وشعب المحاسن وفصيلة ، فضلها الله ورعاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها (112) ، فجانبها مريع (113) وخيرهـا سريع ، ووضعها له ــ فى فقه الفضائل ــ تفريع ، عدل فيها الزمان ، وانسدل الامان ، وفاقت ــ الفواكه ــ فواكهها ، ولا سيما الرمان ، وحفظ ــ أقواتها ــ الاختـزان ، ولطفت فيها الاوانى والكيـزان ، واعتـدل ــ للجسوم ــ الوزان . ودنا ــ من الحضرة (114) ــ جوارها ، فكثر قصادها من الفضلاء وزوارها ، وبها المدارس والفقهاء ، ولقصبتها الابهة

---

111) مكناس أو مكناسة : هى بالاسبانية Mequinez اتخذها المولى اسماعيـل عاصمة له (1673 ــ 1726 م) وطبعها بطابع عبقريته . تقع جنوب غرب فاس على مسافة 60 كم ، وقد سميت باسم قبيلة مكناسة البربرية التـى اختطت المدينة اولا ، ويحيط بمكناس نطاق مثلث من اسوار وحصون يبلغ طولها 40 كم . من آثارها العتيقة باب منصور ، والاصطبلات القديمـة ، وبركة البساتين التى تبلغ مساحلتها 4 هكتارات مربعة ، وهى على غـرار بركة مراكش . وتعتبر مكناس اليوم خامس مدن المغرب سكانا ، اذ تتقدمها الدار البيضاء والرباط ومراكش وفاس . ويبلغ تعداد السكان حاليا حوالـى 230 الف نسمة ، وارتفاعها عن سطح البحر بنحو 522 مترا .
راجع : التعريف بابن خلدون ، ص 221 حاشية 3 ، و « الروض الهتون ، فى اخبار مكناسة الزيتون » لابن غازى العثمانى المكناسى (ط. القصر الملكى بالرباط 1966 م) بتحقيق عبد الوهاب بن منصور . وكذا مجلة « الثقافـة المغربية » ج 7 عدد 7 (1972) تحت عنوان (التخطيط المعمارى لمدينـة مكناس) للاستاذ محمد المنونى ، ص 21 ــ 56 .

112) اشارة الى قوله تعالى : « أخرج منها ماءها ومرعاها » النازعات : 31 .

113) مريـع : خصب .

114) يقصد بالحضرة المرينية : فاس العاصمة .

مـكـنـــاس

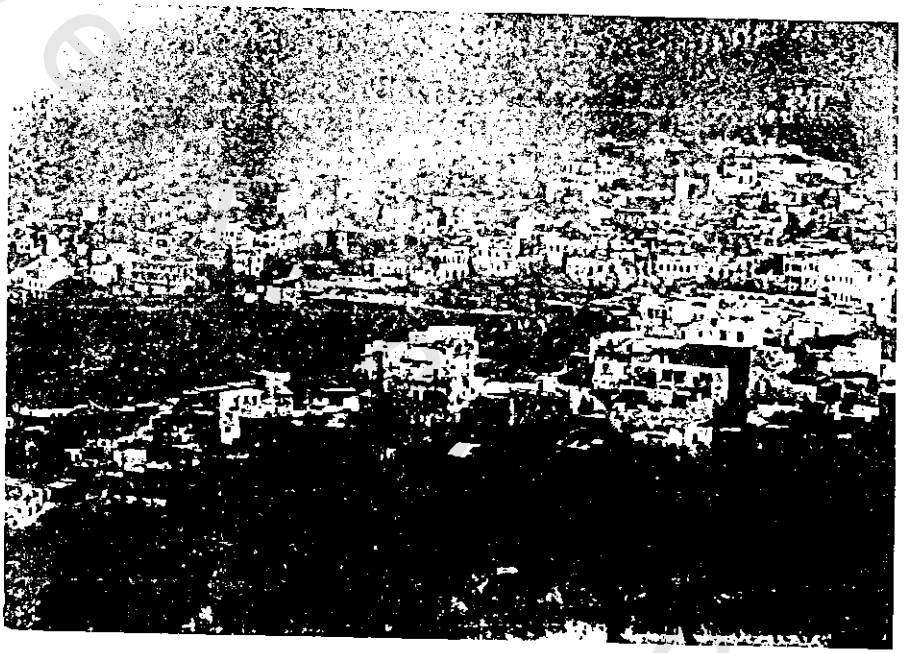

منظـــر عـــام امدينة مكنـــاس

obeikan.com

مـكـنـــاس

مدخل ضريـح مولاى اسماعيل

مكنـــاس

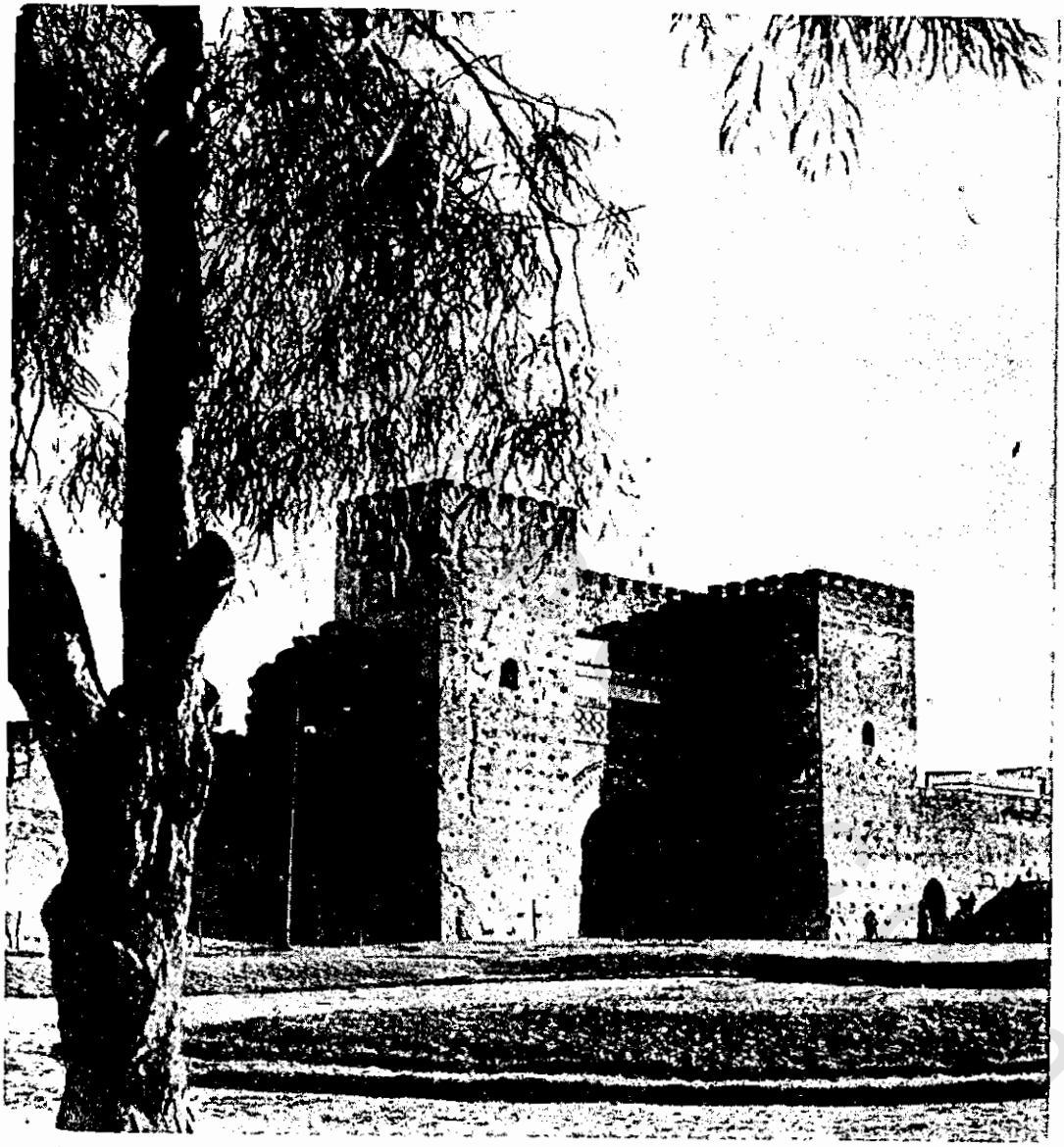

بـــاب الـريـــح
احد المداخل الرئيسة لمدينة مكناس

مكنـــاس

بـــاب مـنـصـــور
المدخل الرئيسى للمنشئات الملكية بالعاصمة الاسماعيلية

مكنـــاس

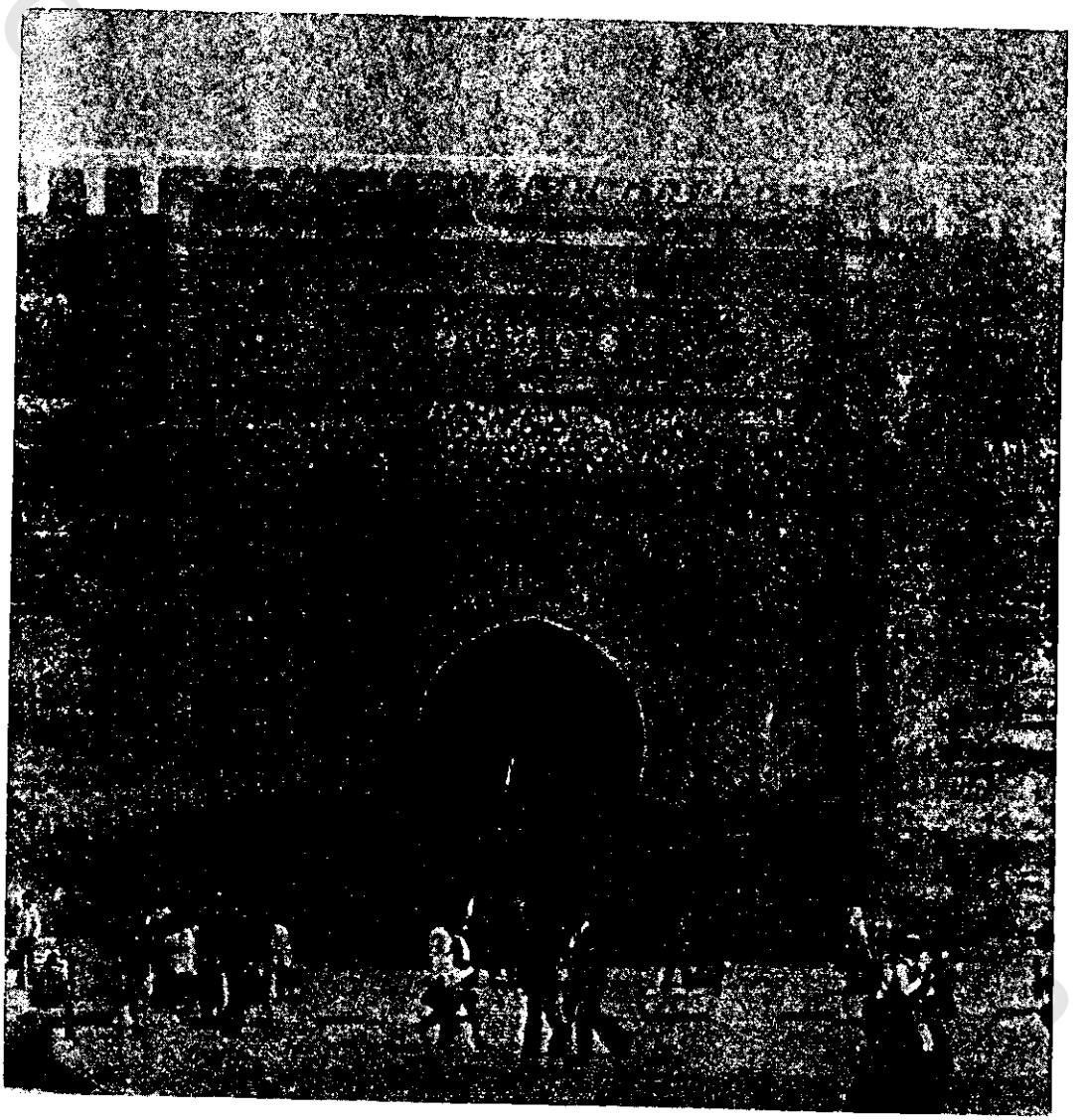

بـــاب مسجـــد الانـــوار

« . . حيـث البنى التي نظر اليها عطارد فاستجفاها ، وخاف عليها أ:وجود أن يصيـبها بعينـه الحسود ، فسترها بالفـور واخفاهـا . . . »

والبهاء ، والمقاصير والابهاء (115) . الا أن طينها ضحضاح (116) ، لذى الظرف فيه افتضاح ، وأزقتها لا يفارقها القذر ، وأسواقها يكثر بها الهـــذر ، (**وعقاربها لا تبقـــى ولا تذر**) (117) ، ومقبرتها لا يحتج (124 : أ) عن اهمالها ولا يعتـــذر .

14 ــ « فـــــاس » (118)

قلت : فمدينـــة فـــاس ؟

فقـــال :

رعـــى اللـــه قطرا ينبت الغنى وآفاقـــه ظل على الديـــن ممدود

نعم العرين ، لاسود بنى مرين ، ودار العبادة التـــى يشهد بهـــا

---

115) الابهاء ، ج بهو ، وهو : قاعة الاستقبال .

116) يعنى انتشار الاوحال فى طرقات المدينة .

117) زيادة فى نسختى س ، ط .

118) فاس : هى بالاسبانية Fez اسسها المولى ادريس الثانى عام 808 م ، فهى أقدم عواصم المغرب التاريخية ، وتبعد عن « الرباط » العاصمـــة الادارية حاليا بنحو مائتى كم ، وقد عاصر مؤسسها الامير الاموى الحكم بن هشام بالاندلس ، وهو الذى كان قد نفى وشرد معظم سكان ضاحية الربض فى قرطبة ، اثر الموقعة الشهيرة التى تغلب فيها على هؤلاء الثائرين (202 هـ = 817 م) فلجأ الربضيون الى فاس ، وفيها أحيوا الصناعات المختلفة ، وطبعوا المدينة بطابع الفن الاندلسى ، ولاسيما فى المعمار ، حتى سميـــت فاس لذلك « مدينة الاندلسيين » . أما « مدينة القرويين » فهى الضاحية التى عمرها سكان المغرب الادنى ، بعد أن وفدوا من القيروان ، وحيث بنى بهـــا « جامع القرويين » ، الذى أسسته السيدة فاطمة الفهرية الادريسية ، وهو الآن يمثل أقدم جامعات العالم ، ويؤمها الطلاب من كل حدب وصوب .

وتجدر الاشارة الى أن مركز فاس السياسى قد تضاءل فى عصر المرابطين ثم الموحدين ، الذين اتخذوا من مراكش عاصمة ، حتى تغلب بنو مريـــن فأعادوا الى فاس سابق مجدها ، باتخاذهم اياها العاصمة . أما « فـــاس الجديد » فهى التى بناها الامير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى عام

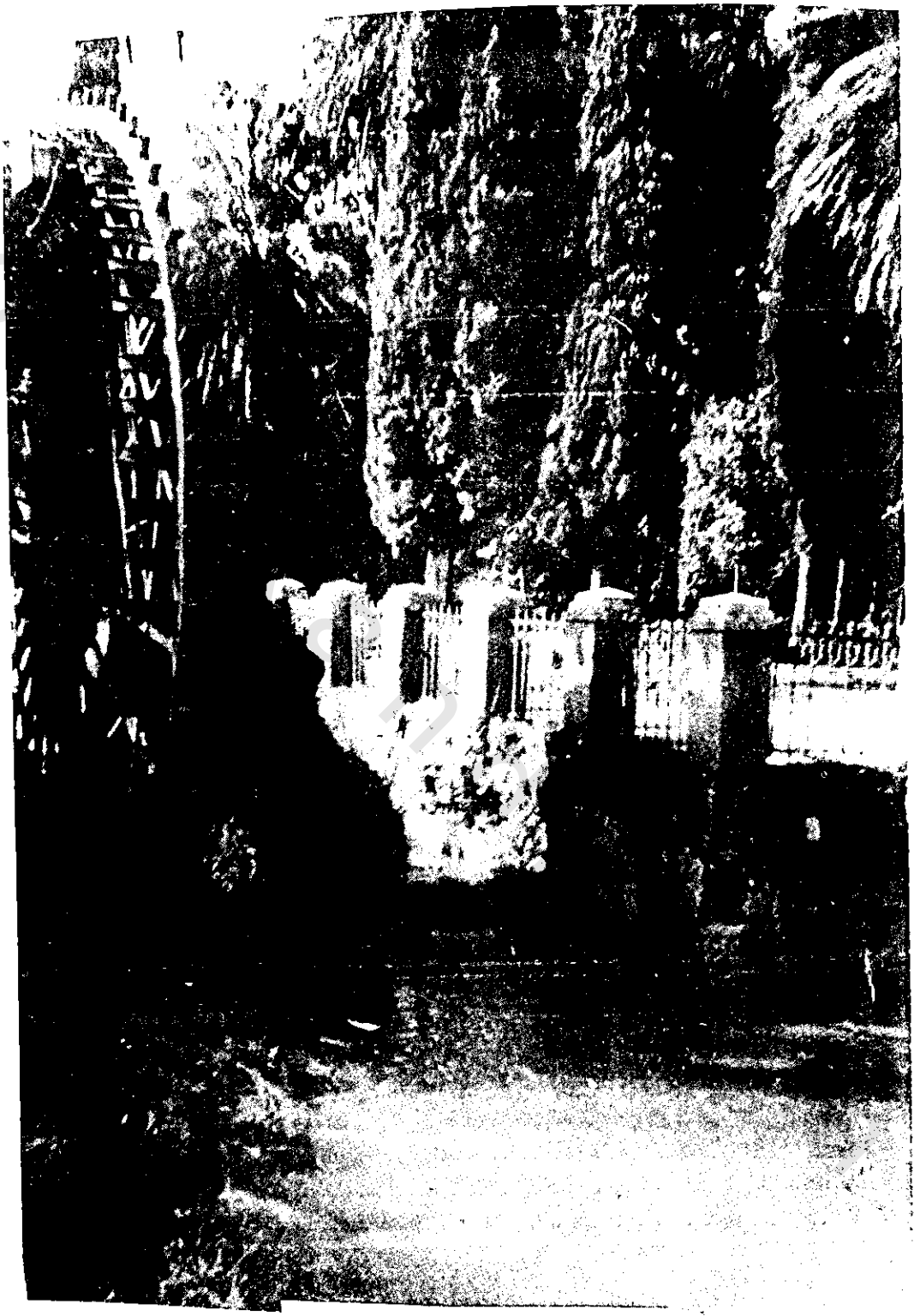

ناعـــورة فى جنـــان السبـــيـــل
(فـــــــــاس)

مطرح الجنة ومسجد الصابرين . (119) أم القرى ، ومأم السرى ، وموقد نار الوغى ونار القرى . ومقر العز الذى لا يهضم ، وكرسى الخلافة الاعظم . والجرية (120) التى شقها ثعبان الوادى فما ارتاعت والابية التى ما أذعنت اذعانها للايالة المرينية ولا أطاعت .

أى كلف وكلف ! ومتفق ومختلف ! ومحاباة وزلف ! وقضيم وعلف ! وخلف عن سلف ! انما الدنيا أبو دلف (121) ! .

---

674 هـ = 1275 م ، وقد اطلقت عليها عدة اسماء ، مثل المدينة البيضاء ، والبلد الجديد ، والمدينة الجديدة . وتتصل فاس القديمة بفاس الجديدة عبر حدائق أبى الجنود الغناء ، وتعتبر أبواب فاس غريبة الشكل ، كباب الدكاكين ، وباب الساكمة ، وباب السمارين .

هذا وتعتبر المدينة فى مقدمة مدن المغرب ثقافيا وصناعيا وتجاريا ، وتزدهر فيها السياحة ، نظرا لما تشتمل عليه — غير ما ذكرنا — من آثار هامة ، كالمدرسة البوعنانية ذات الساعة الشمسية الغريبة ، ومدرسة العطارين ، ومدرسة المصباحية ، ومسجد الاندلس ، وزاوية المولى ادريس الثانى مؤسس المدينة ، حيث يوجد بها الضريح . كما توجد قبور المرينيين على مرتفع يمكن منه رؤية المدينة فى السفح ، وقد أحاطتها الاسوار الاثرية ، فبدت فتنة الناظرين ..

راجع : ابن خلدون فى « العبر » ج 7 ص 194 — 195 ، والسلاوى فى « الاستقصا » ج 2 ص 22 ، ثم :

ود. عبد الهادى التازى فى : « جامع القرويين » .

وانظر : Descripcion de Africa, P.P. 122-148 (juin Léon Africano).

119) مسجد الصابرين : أحد المعالم الاسلامية بفاس .
انظر: مجلة البحث العلمى — السنة الثانية عشرة — العدد 14 الصادرة بالمغرب.

120) الجرية : حوصلة الطائر .

121) هذا التعبير اقتباسا من قول الشاعر العكوك على بن جبلة :

انما الدنيا ابو دلف بين مغزاة ومختصره
فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على اثره

وأبو دلف هذا هو القاسم بن عيسى بن ادريس العجلى ، أمير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد الاجواد من الشعراء ، كما كان من رجال الرشيد ، ثم ابنه المأمون وقد عقد له الكاتب ابن طيفور فصلا خاصا فى كتابه « بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية » عند حديثه عن الخليفة المأمون ، توفى أبو دلف عام 226 هـ . والشهرة بعدئذ واضحة للرجل فى الغنى العريض ، والكرم النادر ...

سألت عن العالم الثانى (122) ، ومحراب السبع المثانى ، ومعنى المغانى ، ومرقص النادب والغانى ، وارم المبانى(123) ، ومصلى القاصى والدانى . هى الحشر الاول ، والقطب الذى عليه المعول ، والكتاب الذى لا يتأول . بلد المدارك والمدارس ، والمشايـــخ والفهارس ، وديوان الراجل والفارس . والباب الجامع من موطأ المرافق ، ولواء الملك الخافق ، وتنور الماء الدافق ، ومحشر المؤمن والمنافق ، وسوق الكاسد والنافق ، حيث البنى النى نظر اليها عطارد (124) فاستجفاها (125) وخاف عليها الوجود أن يصيبها بعينه (124 : ب) الحسود فسترها بالغور وأخفاها (126) . والاسواق التى ــ ثمرات كل شىء اليها ــ قد جبيت ، والموارد التى اختصت بالخضر وحبيت ، والمنازه المخطوبة ، وصفاح الخلج المشطوبة ، والغدر التى منها أبو طوبة (127) .

بلـد أعارتـه الحمامـة طوقهـا وكساه ريش جناحه ــ الطاووس
فكأنمـا الانهـار فيـه مدامـة وكـأن ساحات الديـار كـؤوس

اجتمع بها ما أولده سام وحام ، وعظم الالتئام والالتحام ، فلا يعدم فى مسالكها زحـام . فأحجارها طاحنة ، ومخابزها شاحنـة ، وألسنتها ــ باللغات المختلفـة ــ لاحنة ، ومكاتبها مائجـة ، ورحابهـا متمائجة ، وأوقافها جارية ، والهمم فيها ــ الى الحسنات وأضدادها ــ متبـاريـــة .

---

122) ويقصد بالعالم الاول الاندلس .
123) ارم المبانى : علم المبانى .
124) عطارد : نجم سيار قريبٌ من الشمس .
125) استجفاها : طلب منها البعد ، والتعبير كلية كناية عن علو شأن المدينـــة ومنزلتها السامية .
126) يعنى أن موقع المدينة فى السفح المنخفض ، وهو حسن تعليل رائع ، لوقاية المدينة من عين الحسود بموقعها هكذا .
127) أبو طوبه : الريح الطيبة .

بلد نكاح وأكل ، وضرب وركل ، وامتياز من النساء بحسن زى وشكل ، ينتبه بها الباه ، وتتل الجباه ، وتوجد للازواج الاشباه . الى وفور النشب (128) ، وكثرة الخشب ووجود الرقيق ، وطيب الدقيق ، وامكان الادام ، وتعدد الخدام ، وعمران المساجد والجوامع ، وادامة ذكر الله فى المآذن والصوامع .

وأما مدينة الملك (129) ، فبيضاء كالصباح ، أفق للغرر الصباح ، يحتقر ــ لايوانها ــ ايوان كسرى ، وترجع العين حسرى ، ومقاعد الحرس ، وملاعب (125 : أ) الليث المفترس (130) ، ومنابت الدوح المغترس ، ومدرس من درس أو درس ، ومجالس الحكم الفصل ، وسقائف الترس والنصل ، وأهداف الناشبة أولى الخصل (131) . وأواوين الكتاب ، وخزائن محمولات الاقتاب ، وكراسى الحجاب ، وعنصر الامر العجاب .

الى الناعورة التى مثلت من الفلك الدوار مثالا ، وأوحى الماء الى كل سماء منها أمرها فأبدت امتثالا ، ومجت العذب البرود سلسالا ، وألفت أكوابها الترفه والترف ، فاذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى (132) .

---

128) النشب : نوع من الشجر تستعمل من خشبه القسى .

129) مدينة الملك : يقصد بها فاس الجديد .

130) كان من عادة ملوك بنى مرين أن يشهدوا فى حلبة خاصة مصارعة بين الثور والاسد ، وكثيرا ما كانت تنتهى بانتصار الثور . ولعل هذا أصل مصارعة الثيران باسبانيا اليوم .

131) الخصل : عود عليه شوك .

132) قوراء : قرص مدور متسع المحيط مخروق الوسط ، والناعورة هكذا ، وعليها الاوانى الفخارية ، وبدورانها تحمل المياه ، ثم تلقيها من عل كالشهب الراصدة .

فـــــاس

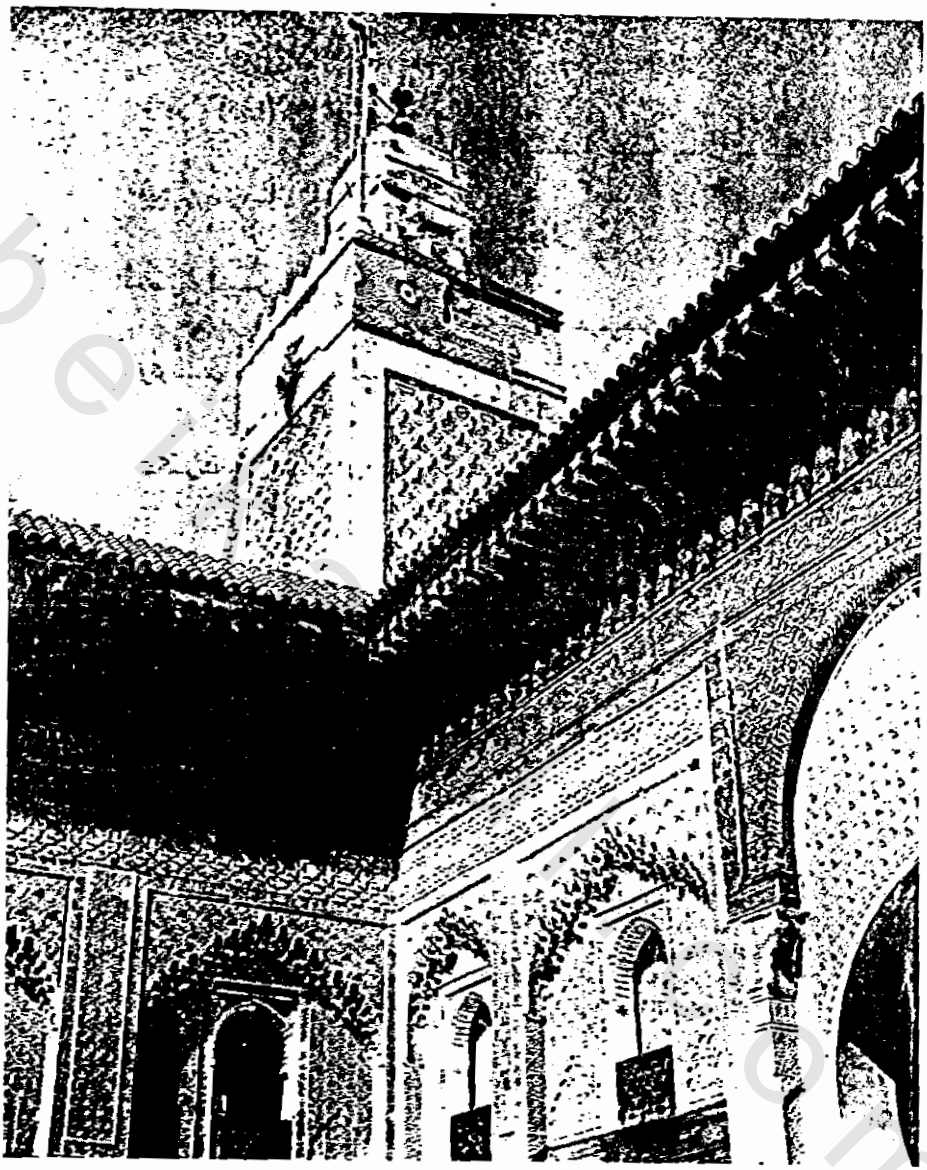

(المدرسة البوعنانية)

وقوراء (133) من قوس الغمام ابتغوا لها
مثـالا أداروهـا عليـه بـلا شـك

فبيـن الثريـا والثـرى سـد جـرمهـا
وللفلـك الـدوار قـد أصبحت تحكـى

تصوغ لجيـن النهـر فى الروض دائمـا
دراهـم نـورقـد خلصن مـن السبـك

وترسـل مـن شهبانهـا ذا ذؤابـة
فتنفى استراق السمع عن حوزةالملك (134)

تذكـرت العهـد الـذى اخترعـت بـه
وحنـت فمـا تنفـك سـاجعـة تبكـى

ثم قال : الا أن حر هذه المدينة مذيب ، وساكنها ذيب ، ومسالكهـا وعرة ، وظهائرها مستعرة ، وطينها هائل ، وزحامها حرب وائل (135) . ان نشد الجفاء ناشد ، فهى ضالته المنشودة ، أو حشد أصنافـه حاشـد

---

133) يشير بذلك الى قوله تعالى : « وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » سورة الجن ، آية : 9 ، وفى هذا ــ كما فى البيت التالى ــ حسن تعليل لطيـف .

134) اقتباسا من قوله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليـلا » سورة النساء ، آية : 142 .

135) وتعرف بحرب البسوس ، حدثت فى الجاهلية قبيل الاسلام ، وقد قامت بسبب ناقة لدار جساس ، قتلها كليب ، فقتل جساس قاتلها كليبا ، ودارت الحرب بين بكر وتغلب اثر ذلك ، واستمرت قرابة اربعين عاما ، وكانت بينهما فى تلك المدة خمس وقعات شهيرة ، تارة يكون الظهور فيها لبكر ، وتارة لتغلب ، وتارة ينتصفان ، حتى تصالحا بعد أن سقط خيرة القبيلتين وزهرة شبابهما ، فضرب المثل بحرب وائل ، كما قيل فى التطير فى الامثلة العربية : اشأم من البسوس .

(125 : ب) فهى كتبيته المحشودة . الى بعد الاقطار ، وعياث الميازب أوقات الامطار ، والاشتراك فى المساكن والديار، على الموافقة والاختيار، وتجهم الوجوه للغريب ، ذى الطرف المريب ، وغفلة الاملس عن الجريب (136) ، ودبيب العقارب ، أرسالا كالقطا القارب (137) . وأهلها يرون لانفسهم مزية الفضل ، ويدينون فى مكافأة الصنائع البالغة بالعضل (138). يلقى الرجل أبا مثواه فلايدعوه الى بيته، ولايسمح(139) له ببقله ولا زيته (140) ، فلا يطرق الضيف حماهم ، ولا يعرف اسمهم ولا مسماهم ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ماهم (141) . ومقبرتهم غير نابهة ، وأجداثها غير متشابهة ، مشربة حيوان ، ومشبعة جرذان ، غير وان (142) .

15 ــ آقر سلوين (143)

قلت : فما تقول فى آقر سلوين ؟

قال : واد عجيب ، وبلد لداعى الايناع مجيب ، مخضر الوهاد ، كثير شجر الجوز والزيتون ، كنفته الجبال الشم ، وحنا عليه الطود كما تحنو

---

136) كناية عن أن أهل المدينة يتميزون ومعروفون ، والغريب حينئذ ظاهر بينهم مهمل ، لا يلقونه كما يلقون بعضا .

137) القطا القارب : القطا الذى يطلب الماء ليلا .

138) العضل : بفتح العين وسكون الضاد ، الشدة .

139) فى نسختى (ط ، س) « ولا يسمع » ، وهو ما لا يتناسب والسياق .

140) فى نسخة (ط) « ولا بزيته » ، وهو أوفق للعطف باعادة الجار .

141) اقتباسا من قوله تعالى : « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داود أنما فتناه ، فاستغفر ربه ، وخر راكعا وأناب » سورة ص ، آية : 24 .

142) غير وان : غير مقصر .

143) آقر سلوين : يحتمل أن يكون المراد بها قصبة سلوان ، حيث تقطن قبائل « بنى يطفتى » ، بالريف شمال المغرب .

على ولدها الام ، فهواؤها ملائم ، والعنب على الفصول دائم . الا أن الشمس لا تطرقه بنوال ، ولا ترمقه الا وقت زوال . قد باء بالحظ الموكوس وانكمش تحت ابط الظل المنكوس ، فجوه عديم الطلاوة (126 : أ) ، وعنبه ــ للبرد ــ قليل الحلاوة .

16 ــ « سجلماسة » (144)

قلت : فسجلماسة ؟

قال : تلك كورة (145) ، وقاعدة مذكورة ، ومدينة محمودة مشكورة ، كانت ذات تقديم ، ودار ملك قديم (146) ، وبلد تبر وأديم ، ومنمى تجر ومكسب عديم (147) . معدن التمر ، بحكمة صاحب الخلق والامر ، تتعدد أنواعه ، فتعيى الحساب . وتجم بها فوائده فتحسب الاقتناء والاكتساب . قد استدار بها ــ لحلق السور ــ الامر العجاب ، والقطر الذى تحار فى ساحته النجاب ، فضرب منه على عذارها الحجاب (148) ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب (149) ، يحيط بها مرحلة راكب ،

---

144) سجلماسة : يطلق هذا الاسم على مقاطعة فى جنوب المغرب تسمى الآن « تافيلالت » .
راجع فى هذا : ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » ج 5 ص 41 ، والتعريف بابن خلدون ص 40 حاشية 1 .

145) كورة ، اى بلد به قرى ومساكن ، يقول الحموى فى معجم البلدان « ان الكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولابد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر » (ج 1 ص 36) .

146) يقصد دولة « بنى مدرار » التى عاصرت دولة الادارسة ، فقد اتخذت سجلماسة قاعدة لملكها .

147) اى عديم النظير

148) كناية عن السور المحيط بالمدينة .

149) اقتباسا من قوله تعالى : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب » سورة الحديد ، آية : 13 .

ويصيرها سماء مخضرة ذات كواكب . فمنازلها لا تنال بهوان ، وفدنها ودمنها تحت صوان ، ونخلها تطل من خلف الجدار ، وتتبوأ الايمان والدار ، وحللها مبثوثة بين الدمن، وضياعها تتملك على مر الزمن، وسوائمها آلفة للسمن ، موجودة بنزر الثمن ، وفواكهها جميمة ، ونعمها عميمة ، وسورها حصين مشيد ، وجسرها يعجز عن مثله معتصم ورشيد (150) . وسقيها يخص دار الملك بحظ معلوم ، ويرجع الى وال يكف كـــل (126 : ب) ظلـــوم .

وهى أم البلدان ، المجاورة لحدود السودان ، فتقصدها ــ بالتبر ــ القوافل ، وتهدى الى محرابها النوافل ، والرفاهيـــة بهـــا فاشيـــة ، والنشافى (151) الحلية ناشية (152) . لكنها معركة غبار ، وقتيل عقربها جبار (153) ، ولباسها خامل ، والجفاء بها شامل ، والجو يسفر عن الوجه القطوب ، والمطر معدود من الخطوب ، لبناء جدرانها بالطوب ، والقـــرع برؤوس أهلها عابث ، والعمش (154) فى جفونهم لابث ، والحصا يصيبهم، ويتوفـــر (155) منه نصيبهم .

---

150) المعتصم والرشيد ، من اشهر وأعظم خلفاء بنى العباس ، فالمعتصم هـــو ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد ، 218 ــ 227 هـ (833 ــ 842 م) ، وأما هارون الرشيد فقد حكم من عام (170 ــ 193 هـ ، 786 ــ 809 م) ، ويرمى بهذا الى المبالغة فى عظم شأن الجسر المؤدى الى المدينة .

151) النشافى الحلية : الاحجار ذات النخاريب ، تستعملها النساء فى الحمامات .

152) ناشية : ذات رائحة طيبة .

153) جبار : هدر ، وذهب دم القتيل جبارا ، اى لم يؤخذ له بالقصاص ولا بالدية .

154) العمش : ضعف بالبصر تصحبه الدموع .

155) فى نسختى (س ، ط) « يتوقر » ، والصواب فى نسختنا .

17 ـ « تـــازة » (156)

قلت : فتـازا ؟

قال : بلد امتناع ، وكشف قناع ، ومحل ريع وايناع ، ووطن طاب ماؤه ، (وصـــح)هواؤه ، وبان شرافه واعتلاؤه ، وجلت فيه مواهب الله وآلاؤه . عصير مثل ، وأمر الخصب به ممتثل ، وفواكه لا تحصى ، يماربها (157) البلد الاقصى ، وحبوبه تدوم على الخزن ، وفخاره آية فى لطافة الجرم وخفة الوزن . الا أن ريحه عاصف ، وبرده لا يصفه واصف ، وأهله فى وبال ، من معرة أهل الجبال ، وليوثه مفترسة ، وأخلاق أهلـــه شرســـة .

18 ـ غساســة (258)

قلت : فغساســة ؟

---

156) تـــازة : « Taza »تبعد هذه المدينة المغربية عن فاس بنحو 119 كم ، كما تبعد عن مدينة وجدة بمسافة 230 كم . وتتمتع بموقع جغرافى هام ، ممـــا جعلها تتخذ على مر العصور قاعدة حربية ، هكذا فعل ادريس الثانى ، كمـــا اتخذها عبد المؤمن الموحدى حصنا هاما ، وفى عهد بنى مرين جعل منهـــا ابو يعقوب المرينى قاعدة لغزو تلمسان ، وهى قرب نهر « اناون » علـــى آخر الجبال المحاذية للاطلس المتوسط ، والمواجهة لجبال الريف ، وقـــد تأسست فى القرن الثامن الميلادى . من آثار المرينيين بها المدرسة والجامع الاعظم ، وهما آيتان فى روعة الفن الاندلسى المغربى .
راجع : التعريف بابن خلدون ص 134 حاشية 2 ، وتاج العروس ج 4 ص 12

157) يمـــار : يمـــون .

158) غساسة : مدينة ذات موقع يقرب من مصب نهر ملوية Mulnia بالبحـــر المتوسط ، وقد كانت هذه المدينة ـــ يومئذ ـــ مقرا لقبائل بطوية Buthoia ومن قبل فهى مرسى له اهميته ، يقع غرب مليلية ، أجهز عليه الاستعمار الاسبانى عام 1496 م ، ويعتقد أن عبد الرحمن الداخل أبحر من « غساسة » الى الاندلس ، كما نزل بها عبد الله ابن الاحمر آخر ملوك بنى نصر اثـــر سقوط غرناطة (2 يناير 1492 م) ، كما أن هذه المدينة التى اندثرت « كانت

قال : فريسة وأكيلة ، وحشف وسوء كيلة (259) . الا أنها مرسى مرسى مطروق ، بكل ما يروق ، ومرفأ جارية (127 : أ) بحرية ، ومحط جباية تجرية .

19 ـ تلمسان (260)

قلت : فمدينة تلمسان ؟

قال : تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت فى موضع

المعبر المفضل للمهمات السرية والسريعة » ولذلك يشير ابن الخطيب فى وصفهـا .

راجع : ابن خلدون فى « العبر » ج 6 ص 101 وانظر : د. عبد الهادى التازى فى مجلة « البحث العلمى » (عدد 24 من السنة 12 ص 13) تحت عنوان « الثغور المغربية بين المواجهة المسلحة والتدخل الديبلوماسى » .

159) هذا التعبير كناية عن سوء الخارج من المحاصيل الزراعية ، بالاضافة الى غش أربابها لها ، وبهذا يشير المؤلف الى المثل العربى (أحشفا وسوء كيلة !!) الذى يضرب للظلم يلحق صاحبه مضاعفا .

160) تذكر المعاجم والمؤرخات أن كلمة « تلمسان » مركبة من « تلم » ومعناه : لها ، « وشان » اى : لها شان ، ثم صرفت الشين ـ بمرور الزمن ـ الى السين . وذكر المقرى نقلا عن الكاتب أبى زكريا يحيى ابن خلدون من كتابه « بغية الرواد ، فى أخبار بنى عبد الواد ، وأيام أبى حمو الشامخة الاطواد » ، بعد كلام فى شان البربر ما صورته : « ودار ملكهم وسط بين الصحراء والتل ، تسمى بلغة البربر « تلمس » كلمة مركبة من « تلم » ومعناه : تجمع « سن » ومعناه : اثنان ، أى الصحراء والتل ، فيما ذكره شيخنا العلامة أبو عبد الله الابلى ، رحمه الله ، وكان حافظا بلسان القوم » .

وتقع المدينة غرب الجزائر ، وهى مركز للمحافظة التى تسمى باسمها ، ويبلغ عدد سكانها حوالى 85.000 نسمة ، وتشتهر بينابيعها وكرومها وصناعاتها المحلية ، والتى اهمها السجاد والجلود ومعامل النسيج . وللمدينة شهرة علمية تاريخية ، كما كانت سوقا تجارية هامة ، ولا سيما فى عهد المرابطين الذين اسسوا بها « المسجد الكبير » . وقد اتخذها بنو عبد الواد عاصمة المغرب الاوسط ، وقد أخذت شهرتها فى الاضمحلال ، منذ الاحتلال العثمانى. من مشاهير علمائها أبو اسحاق الانصارى (1212 ـ 1291 م) وغيره من فقهاء العصر الاسلامى الوسيط .

راجع : المقرى فى « نفح الطيب » ج 9 ص 331 ـ 342 (تحقيق محى الدين عبد الحميد ـ القاهرة 1369 هـ) .

شريف . كأنها ملك على رأسه تاجه ،وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه عبادها يدها ، وكهفها كفها ، وزينتها زيانها ، وعينها أعيانها. هواء المقصور بها فريد ، وهواؤها الممدود صحيح عتيد ، وماؤها برود صريد . حجبتها أيدى القدرة عن الجنوب ، فلا نحول فيها ولا شحوب .

خزانة زرع ، ومسرح ضرع . فواكهها عديدة الانواع ، ومتاجرها فريدة الانتفاع ، وبرانسها رقاق رفاع .

الا أنها بسبب حب الملوك (161) ، مطمعة للملوك ، ومن أجل ، مغلوبة للامرا . أهلها ليس عندهم (162) جمعها الصيد فى جوف الفرا الراحة ، الا فيما قبضت عليه الراحة ، ولا فلاحة ، الا امن أقام رسم الفلاحة . ليس بها لسع العقارب ، الا فيما بين الاقارب ، ولا شطارة (163) الا فيمن ارتكب الخطارة (164)

ثم لما وصل الى هذا الحد ، نظر الى حاج السوق (165) قد أفاض ، ومزاده قد أعمل فيه الانفاض ، وعلو الاصوات به قد صار الى الانخفاض، فقال : وجب اعتناء بالرحيل واهتمام ، وكل شىء الى تمام . ومددت يدى الى الوعاء فخرقته ، والى العين فأرمدته ، وقلت له : لاحكمنك من كرام بنى الاصفر ، فى العدد الاوفر ، ماثلة فى اللباس المزعفر ، فلما خضب كفيه بحنائها ، وحصلت النفس على استغنائها ، استدنانى ، وشبك بنانه ببنانى، وقال : لاحبط عملك ، ولا خاب أملك ، ولا عدم — المرعى الخصيب —

---

161) حب الملوك فاكهة صينية ، ولاسيما فى مناطق الجزائر والمغرب ، ويقام « مهرجان » خاص فى مدينة صفرو المغربية فى موسم هذه الفاكهة حتى الآن.

162) اشارة الى المثل المشهور « كل الصيد فى جوف الفرا » .

163) الشطارة ، بفتح الشين ، الخبث ، وتقول ، « شطر فلان شطارة — من باب ضرب — فهو شاطر » وذلك اذا اعيا اهله خبثا .

164) الخطارة : ما يراهن عليه وهو السبق .

165) حاج السوق : المشترى بالسوق ، والمحتاج فيه .

هملك ، فنعم مغلى البضائع ، وحافظ الفضل الضائع ، ومقتنى الفوائد ، ومعود العوائد . واستثبت مخيلته ، فاذا الشيخ وتلميذه ، وحماره ونبيذه ، قد تنكر بالخضاب المموه ، والزى المنوه ، وعاث بخد الغلام الشعر المشوه . فقلت : هيه (166) ، أبت المعارف أن تتنكر ، والصباح أن يجحد أو ينكر ، كيف الحال بعدى ؟ وما اعتذارك عن اخلاف وعدى ؟ فقال :

خذ من زمانك ما تيسر ... واترك بجهدك ما تعسر
ولرب مجمل حالة ... ترضى به ما لم يفسر
والدهر ليس بدائم ... لا بد أن سيسوء ان سر
(127 : ب) واكتم حديثك جاهدا ... شمت المحدث أو تحسر
والناس آنية الزجاج ... اذا عثرت به تكسر
لا تعدم التقوى ، فمن ... عدم التقى فى الناس أعسر
واذا امرؤ خسر الاله ... فليس خلق ــ منه ــ أخسر

ثم ضرب جنب الحمار ، واختلط فى الغمار (167) ، وتركنى أتقرى الآثار ، وكل نظيم (168) فالى انتثار .

تمت والحمد لله (169)

---

166) هيه : كلمة تقال لطلب الاستزادة .
167) الغمار : زحمة الناس .
168) فى نسختى س ، ط « نظم » ، ولعل الصواب فى نسختنا ، اذ فعيل هنا بمعنى مفعول اى : منظوم .
169) زيادة ــ فيما اعتقد ــ من وضع الناسخ .

obeikandl.com

مصادر التحقيق
والدراسة

obeikandl.com

obeikandl.com

أ ــ المصـــادر العـــربيـــة

1) **ابن الاحمـــر :** (الامير ابو الوليد اسماعيل بن يوسف النصرى)
(ت. 810 هـ ــ 1325 م)
(2) نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان
دراسة وتحقيق : محمد رضوان الدايـــة (بيروت 1967 م)
(1) نثر الجمان فى شعر من نظمنى واياه الزمان
ــ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 1863 ــ ادب

2) **ابن بطوطة :** (ابو عبد الله محمد عبد الله الطنجـى) .
(ت. 779 هـ ــ 1377 م)
تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ج 2 (القاهرة 1938)

3) **ابن الخطيب :** (لسان الدين ابو عبد الله محمد)
(ت. 776 هـ ــ 1374 م)
(1) الاحاطة فى اخبار غرناطة
نسخة خطية بالاسكوريال رقم 1673 ونسختان خطيتان بالاكاديمية الملكية التاريخية بمدريد تحت رقمى 34 ، 142 وتوجد النسخة مطبوعة فى جزاين (القاهرة 1319 هـ) كما توجد نسخة خطية اخرى برواق المغاربة بالازهر . وقد نشر الاستاذ عبد الله عنان الجـزء الاول من كتاب الاحاطة فى مجموعة ذخائر العرب .
(ب) نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب ،
تحقيق الدكتور احمد مختار العبادى القاهرة ــ 1948 م)
(ج) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، مخطوط بالاسكوريال رقم 1825
وقد نشر جزءا كبيرا منه العالم الاسبانى جاسبار ريميرو تحـــت عنوان :
Gaspar Remiro. Correspondencia diplomatica entre granada y Fez en el siglo XLV.
(د) أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام
نشره ليفى بروفنسال فى طبعتين (رباط 1934) ، بيروت 1956 .
نشر محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة 1951 .
(هـ) كناسة الدكان بعد انتقال السكان
نشر وتحقيق د. محمد كمال شبانه ــ دار الكتاب العربى بالقاهرة 1347 هـ)
(س) رقم الحلل فى نظم الدول (تونس 1317)

4) **ابن خلـــدون :** (عبد الرحمن بن محمد)
(ت. 808 هـ ــ 1405 م)
أ ــ المقدمة (نشر مصطفى محمد بالقاهرة)
ب ــ كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر (7 أجزاء بما فى ذلك المقدمة) ،
القاهرة 1284 .
ج ــ التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا
نشر محمد بن تاويـــت الطنجى ، القاهرة 1951

5) **الادريســـى :** (صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس) عن (نزهة المشتاق) نشر دوزى ودى خويه (ليدن 1866 م)

6) **ابن غازى :** (محمد بن احمد العثمانى المكناسى)
(841 ــ 919 هـ)
(الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون)
تحقيق عبد الوهاب بن منصور (الرباط 1964)

7) **ابن القاضـــى** (أحمد بن محمد بن أحمد)
عاش فى القرن السابع عشر الميلادى .
أ ــ جذوة الاقتباس فيمن حل من العلماء مدينة فاس
(فاس 1309) .
ب ــ درة الحجال فى غرة اسماء الرجال 2 ج
(نشر علوش ، رباط 1934 م)

8) **ابو نواس :** (أبو الحسن بن هانىء)
(ت. 813 م ــ 198 هـ)
ديوان أبى نواس بتحقيق « ايفالد فاغر » ــ (طبعة القاهرة 1958)

9) **الجاحـــظ :** (ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى)
(ت. 255 هـ ــ 868 م)
« البيان والتبيين »
تحقيق عبد السلام هارون طبعة (القاهرة 1948 م) .

10) **الجواليقى** (منصور بن أحمد الخضر)
« المغرب من الكلام الاعجمى على حـــروف المعجـــم » .
تحقيق أحمد محمد شاكر (دار الكتب المصرية بالقاهرة 1361 هـ)

11) **(جمال :** الدين محمد بن سالم بن نصر الله)
(ت. 697 هـ ــ 1394 م)
تجريدة الاغانـــى للاصبهانـــى

12) **الحميـــرى :** (ابن عبـــد المنعـــم)
عاش فى القرن الثامن الهجـــرى .
الروض المعطار فى خبر الاقطار .
نشره ليفى بروفنســـال .
(ليدن 1938)

13) **السباعـــى :** (بيومـــى)
« تاريخ القصة والنقد فى الادب العربى »
(القاهـــرة 1956) .

14) **الســـلاوى :** (شهاب الدين محمد بن خالد الناصرى)
ت. 1319 هـ ــ 1901 م
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى (4 أجزاء فى مجلدين)
القاهرة 1894 م ..

15) **شبانـــه :** (دكتور محمد كمال احمد)
يوسف الاول ابن الاحمر ، سلطان غرناطة (القاهرة 1969 م)

16) **الطبـــرى :** (ابو جعفر محمد بن جرير)
(ت 922 م ــ 310 هـ)
« تاريخ الامم والملوك » (12 جزءا طبعة القاهرة 1908)

17) **عنـــان :** (محمد عبد الله) معاصر
(لسان الدين ابن الخطيب) .
(القاهرة 1968 م)

18) **القلقشندى :** (ابو العباس احمد بن على)
ت 821 هـ ــ 1418 م
صبح الاعشى فى صناعة الانشا 14 جزءا
(القاهرة 1212 ــ 1219 هـ)

obeikandi.com

المصادر الاجنبية

1. Ballesteros, A. :
Historia De Espana, Tomo III.
(Barcelona-Buenos Aires 1948)

2. GARIOS DE LUNA, JOSE :
Historia De Gibraltar (Madrid 1944).

3. LEVI PROVENCAL. E. :
La penisule iberique Du Moyen Age d'après le Kitab Al-Rawd al Mitar, D'Ibn Abd al Munim al Himyari. (Tetuan 1950).

4. LEON AFRICANO, JUAN (A) HASAN IBN MUHAMMAD ALWAZZAN AL-FASI) :
Description De Africa y De las cosas notables que en ella se encuentran.
(INSTITUTO GENERAL FRANCO-TETUAN 1952)

5. MULLER, MARCUS JOSEPH :
Beitrage zur Geschichte der westlichen araber (Munchen 1866)

6. SECO DE LUCENA, LOUIS :
Sobre el viaje de Ibn Battuta al Reinocle Granada (Al Andalus, Vol, XVI 1951).

7. SIMONET, FRANCISCO JAVIER :
Descripcion del Reine de Granada bajo la dominacion de los Nazaritas.
(Madrid 1860).

obeikandl.com